المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز بحوث الدراسات الإسلامية
مكة المكرمة

سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية

الاختيار في القراءات

منشؤه ومشروعيته

وتبرئة الإمام الطبري من تهمة إنكار القراءات المتواترة

اعداد

الدكتور/عبد الفتاح إسماعيل شلبي

أستاذ الدراسات القرآنية اللغوية

الدراسات العليا (كلية اللغة العربية)

جامعة أم القرى ـ مكة الكرمة

١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

ⓒ جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

شلبي ، عبدالفتاح إسماعيل

الإختبار في القراءات : منشؤه ومشروعيته وتبرئة الإمام الطبري من تهمة إنكار القراءات المتواترة .ـ مكة المكرمة .

٧٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .

ردمك ٠ ـ ١٧٨ ـ ٣ ٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القرآن ـ القراءات والتجويد   أ ـ العنوان

ديوي ٢٢٨   ١٧ / ١٧٣٤

رقم الإيداع : ١٧ / ١٧٣٤

ردمك ٠ ـ ١٧٨ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن هذا المقال يبرئ الإمام الطبري (رحمه الله) من تهمة ألصقها به بعض الباحثين في زماننا ، تلكم التهمة هي أن الإمام ينكر القراءات المتواترة .

وقد استطعت بنعمة من الله وفضل أن أفند هذا الاتهام وأثبت أن الإمام الطبري له معايير في اختيار القراءة ، وأنها لاتخرج عن قوة وجهها في العربية ، وصحة سندها ، وموافقتها رسم المصحف .

وأثبتُّ بالدليل والبرهان أن القراءات قائمة على الاختيار وتفضيل بعضها على بعض ، وأوردت الشواهد على ذلك ، وضربت له الأمثال .

وليس من حرج في تفضيل كلام الله بعضه على بعض مادام هذا التفضيل كما قال الامام المهدوي (ت ٤٣٠هـ) غير متصل بالذات ، ، فإن ذلك لايكون إلا في المخلوقات ، لكن لما كان الأجر يزيد بزيادة القراءات ، واتساع اللغات أطلقنا التفضيل في الأجر لا في الذات(١) .

وأدعو الله تبارك وتعالى أن يرينا الحق حقاً فنتبعه وأن يرينا الباطل باطلاً فنجتنبه ، سبحانه يقول الحق وهو يهدي السبيل .

---

(١) انظر ص (٣٧) من هذا المقال .

معنى الاختيار ومنشؤه

لعل أول من ذكر معنى الاختيار ومنشأه الامام أبو جعفر الطبري ، جاء في كتاب المرشد الوجيز(١) : قال الامام أبو جعفر الطبري .

« الأمة أُمِرَت بحفظ القرآن ، وخُيِّرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت ، كما أمرت اذا هي حَنِثت في يمين وهي موسرة ، فلو أجمع جميعها على التفكير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التفكير فيها بأي الثلاث شاء المكَفِّر ـ كانت مصيبةً حكمَ الله ، مؤيده في ذلك الواجب عليها من حق الله ، فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن ، وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت : فرأت لعلَّةٍ من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد ـ قراءته بحرف واحد ، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن في قراءته به » .

والطبري في هذا النص يشرح رأيه في أن القراءات التي يحتملها رسم المصحف العثماني إنما هي حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم ، والأمة مخيرة بين هذه القراءات التي يشتمل عليها الحرف الواحد(٢) ..

والإمام أبو عمرو الداني أكثر وضوحا من الطبري في شرحه معنى الاختيار ومنشأه في القراءات ، اذ قال في جامع البيان ما نصه :

« وجه الاختلاف في القراءات أن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه الصلاة والسلام في كل عام عرضة ، فلما كان في العام الذي توفى فيه ـ عرضه عليه عرضتين ، فكان جبريل عليه السلام يأخذ عليه في كل عرضة بوجه ، وقراءة من هذه الأوجه والقراءات المختلفة ، ولذلك قال (ﷺ) إن القرآن أنزل عليها ، وإنها كلها شاف كاف ، وأباح لأمته القراءة بما شاءت

---

(١) ص ١٣٩ .

(٢) انظر تفسير الطبري جـ ١/٥٨ .

منه ، مع الايمان بجميعها ، والإقرار بكلها ؛ اذ كانت كلها من عند الله تعالى منزلة ، ومنه ﷺ مأخوذة ، ولم يُلزم أمتَه حفظها كلها ، ولا القراءة بأجمعها ، بل هي مخيرة في القراءة بأي حرف شاءت منها ، كتخييرها إذا هي حنثت في يمين ، وهي موسرة بأن تكفر بأي الكفارات شاءت : إما بعتق ، وإما بإطعام ، وإما بكسوة وكذلك المأمور في الفدية بالصيام ، أو الصدقة ، أو النسك ، أيٌّ ذلك فعل فقد أدى ما عليه وسقط عنه فرض غيره ، فكذا أمروا بحفظ القرآن وتلاوته ، ثم خيروا في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءوا ؛ إذ كان معلوما أنهم لم يلْزموا استيعاب جميعها ، دون أن يقتصروا منها على حرف واحد ، بل قيل لهم أي ذلك قرأتم أصبتم »(١) .

وقال الإمام الداني في موضع آخر من كتابه جامع البيان :

« إن معنى إضافة كل حرف مما أنزل الله تعالى إلى من أضيف من الصحابة كأُبَيٍّ وعبد الله وزيد ، وغيرهم من قبل أنه كان أضبط له ، وأكثر قراءة ، وإقراء به ، وملازمة له ، وميلا إليه ، لا غير ذلك ، وكذلك إضافة الحروف والقراءات الى أئمة القراءة بالأمصار المراد بها أن ذلك القاريء ، وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة ، وآثره على غيره ، وداوم عليه ، ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقُصِد فيه ، وأخذ عنه ، فلذلك أضيف اليه دون غيره من القراء . وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد »(٢) .

وينقل ابن الجزري في كتابه النشر كلام الداني هذا دون أن يشير اليه(٣) .

---

(١) جامع البيان ٥ ظ مخطوطة .

(٢) جامع البيان ٧/ظ . رسالة دكتوراه تحقيق الدكتور عبد المهيمن طحان بإشرافي .

(٣) انظر النشر جـ ١ ص ٥٢ .

القـراءة سنـة

هذه قضية تتصل باختيار القـراء الاتصال الوثيق ، ذلكـم لأن اختيارهم (رحمهم الله) مشروط بأن يكون مما تلقاه رسول الله ﷺ من جبريل عن اللوح المحفوظ عن رب العالمين قال تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين ﴾(١) .

وقال الله تعالى :(وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ (٣) .

وتلقى الصحابة رضوان الله عليهم آيات القرآن عن رسول الله ، عَرْضاً وسماعا ، فكان ﷺ يتلوها عليهم فور نزولها ، فكانوا يحفظونها ، ويتلونها في الصلوات ومختلف العبادات ، مرارا وتكرارا آناء الليل ، وأطراف النهار ، وتجردت طائفة لكتابة القرآن الكريم في حياة الرسول وهم كتبة الوحي ...

وقد كان رسول الله ﷺ يعرض ما معه من القرآن على جبريل كل عام مرة . وفي آخر عام عرضه مرتين . وقرأه على أصحابه بنفس الترتيب آية آية . وسورة سورة ، فتلقوه عنه ، وأقبلوا عليه يتعلمونه ويعلمونه ، ويعملـون بما فيـه التماسا للأجر والثواب ، لما ثبت عن رسول اللـه ﷺ من حديث ابـن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال :

« قال رسول الله ﷺ : خيركم من قرأ القرآن وأقرأه » ، ولما رواه البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ولفظه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال

(١) سورة التكوير ، الآيات من ١٩ إلى ٢١ .

(٢) سورة النمل ، آية ٦ .

(٣) سورة الشعراء ، الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥ .

سبحانه : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (١) . وكل ما صح من القراءات أنه علمه رسول الله ﷺ لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يقرءوها فليس لنا أن نخطئ من قرأ به اذا كان ذلك موافقا لخط المصحف(٢) .

وخص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوه أنفسهم في اتقانه ، وتلقوه من النبي (ﷺ) حرفا حرفا لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتا ولا حذفا ، ولا دخل عليهم في شيء من شك ، ولا وهم ، وكان منهم من حفظه كله ، ومنهم من حفظ أكثره ، ومنهم من حفظ بعضه ، كل ذلك في زمن النبي ﷺ(٣) .

هذا وإن بعض القراء السبعة المشهورين ومن تقدمهم من أئمتهم يسندون قراءتهم إلى ابن مسعود عن النبي ... وابن مسعود لم يحفظ القرآن كله على عهد النبي ، فكيف نقل القرآن كله وهو لا يحفظه ؟ قال مكي جوابا عن ذلك : يقول ابن مسعود (رضي الله عنه) قرأت من لسان(٤) رسول الله (ﷺ) سبعين سورة(٥) قال : وقد كنت أعلم أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام قبض ، فعرض عليه القرآن مرتين قال : فكان إذا فرغ النبي اقرأ عليه ، فيجيزني أني محسن(٦) .

فأما ما بقي من القرآن فيجوز أن يكون قرأه بعد موت النبي ﷺم على من قرأ على النبي ، فأسنده إلى النبي(٧) .

---

(١) سورة الحجر ، آية ٩ .
(٢) الإبانة ص ٦٠ .
(٣) النشر ٦/١ .
(٤) ، (٥) وفي رواية من (في) رسول الله (ﷺ) اثنتين وسبعين سورة أو ثلاثا وسبعين سورة (تفسير القرطبي ٥٨/١) .
(٦) ، (٧) الابانة ص ١١٧ .

وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتابه الرد : حدثنا محمد بن شهريار ، حدثنا حسين بن الأسود ، حدثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر قال ... وروى ما قاله ابن مسعود ثم قال : قال أبو اسحق : وتعلم عبد الله بقية القرآن من مجمع بن جارية الأنصاري[1] .

وقد ثبت عن النبي (ﷺ) أنه قال لأبي[2] : إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن في حديث طويل معناه : أنه (ﷺ) أمر أن يقرأ على أبي[3] ان يتعلمه أبي منه قراءته ، ومن قراءته ، ويسمع ألفاظه ، وترتيله ، لا ليتعلم النبي (ﷺ) منه شيئا[4] .

فعن عاصم بن بهدلة قال : قلت للطفيل بن أبي بن كعب : الى أي معنى ذهب أبوك في قول رسول الله ﷺ له : أمرت أن أقرأ عليك ؟ فقال : ليقرأ عَلَيَّ فآخُذُ ألفاظه[5] .

وفـــي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد (عبد الله ابن مسعود) ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وسالم مولى حذيفة »[6] .

قال القرطبي في صدر تفسيره[7] :

مما يتبين لك ذلك أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كل منهم عزا قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ لم يستثن من جملة القرآن شيئا .

(١) تفسير القرطبي ص ٥٨ .
(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة ١٥/٧ .
(٣) السبعة ص ٥٥ .
(٤) الإبانة ص ١١٣ .
(٥) السبعة لابن مجاهد ص ٥٥ .
(٦) تفسير القرطبي ص٥٨ .
(٧) السبعة ص ٥٩ .

* فأسند عاصم قراءته إلى علي وابن مسعود .

* وأسند ابن كثير قراءته إلى أبي .

* وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أبي .

* وأما عبد الله بن عامر فإنه أسند قراءته إلى عثمان .

وهؤلاء كلهم يقولون : قرأنا على رسول الله ﷺ ، وأسانيد هذه القراءات متصلة ، ورجالها ثقات »[1] .

جاء في كتاب البرهان للزركشي :

* قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أبي .

* وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان .

* وقراءة عاصم وحمزة والكسائي إلى عثمان وعلي وابن مسعود[2] .

قال ابن مجاهد : « القراءة التي عليها الناس بالمدينة ، ومكة ، والكوفة ، والبصرة ، والشام ، هي القراءة التي تلقوها عن أوليهم تلقيا ، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين ، أجمعت الخاصة والعامة على قراءته ، وسلكوا فيها طريقة ، وتمسكوا بمذهبه[3] .

ثم إن التمسك بقراءة سبعة فقط ليس له أثر ولا سنة ، وإنما السنة أن تؤخذ القراءة إذا اتصلت رواتها نقلا ، وقراءة ، ولفظا ولم يوجد طعن على أحد من رواتها » .

---

(١) قاله الخطابي ، انظر تفسير القرطبي ٥٩/١ .
(٢) البرهان ٣٣٨/١ .
(٣) السبعة ص ٤٩ .

ولا يتوهم أن قوله ﷺ : أنزل القرآن على سبعة أحرف انصرافه إلى قراءة سبعة من القــراء يولــدون من بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة ، لأنه يؤدي إلى أن يكون الخبــر متعريا عن الفائدة الى أن يحدثوا ، ويؤدي إلى أنه لا يجوز لأحــد من الصحابــة أن يقرءوا الا بما علموا أن السبعة من القراء يختارونه »[1] .

وقد أفاض كل من مكي بن أبي طالب ، وابن الجزري في بيان أن سبعة الأحرف ليس المراد منها سبعة من القراء[2] .

ومع أن القرآن دُوِّن في مصاحف عثمان (رضي الله عنه) لم يتحول الأساس في تلاوته يوما على الاعتماد على المصحف المكتوب ، بل ظل الاعتماد منذ وجود الرسول ﷺ على الرواية بالسند الصحيح المتواتر عنه ، فالأساس دائما الرواية عن الرسول ، وقد تلقاه شفويا عنه صحابته ، وعنهم تلقاه التابعون وتوالى ذلك بالسند المتواتر جيلا بعد جيل »[3] .

١ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٣٣٠ .

٢ ـ انظر الإبانة ص ١٣١ وما بعدها والنشر ١/ ٣٦ وما بعدها .

٣ ـ السبعة ص ١١ وانظر رسم المصحف للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ص٢٣ وما بعدها .

الأصل في سنة القراءة

بين ذلك الأصل مكي بن أبي طالب بيانا شافيا فقال في باب عقده أجاب فيه عن سؤال ذكره :

لم جعل القراء الذين اختيروا للقراءة سبعة ؟

وأجاب عن ذلك مبينا أن عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى .. يعني هم أكثر من سبعة كثيرا . ثم قال :

وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا : أن ما صح سنده ، (١) واستقام وجهه في العربية (٢) ، ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها (٣) ، ولو رواه سبعون ألفا متفرقين أو مجتمعين .

فهذا هو الأصل الذي بني عليه من قبول القراءات عن سبعة ، أو سبعة آلاف فاعرفه وابن عليه »(٤) .

ومتى فقد واحد من هؤلاء الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة »(٥) .

وعلى هذا يكون الاختيار مشروطا بسنة القراءة ، فلو اجتمع عدد لا يحصى من الأئمة ، فاختار كل واحد منهم حروفا بخلاف صاحبه ، وجرد طريقا في القراءة على حدة في أي مكان كان ، وفي أي أوان أراد بعد الأئمة الماضين في ذلك ، بعد أن كان ذلك المختار بما اختاره من الحروف بشرط الاختيار لما كان ذلك خارجا عن الأحرف السبعة المنزلة ، بل فيها متسع الى يوم القيامة(٦) .

---

(١) انظر الابانة ، ص ١٠٣ .

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) يقصد حديث نزول القرآن على سبعة أحرف .

(٤) الإبانة ص ١٠٣ .

(٥) انظر النشر ٤٤/١ .

(٦) المصدر السابق ص ٤٣ نقلا عن شيخ الإسلام أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي ، ترجم له في طبقات القراء ٣٦١/١ .

هذا ، ويلخص الإمام السخاوي في كتابه : « جمال القراء »[1] سنية القراءة في كلمة جامعة كاشفة ، ويضرب لها الأمثلة من قراءات القراء وتمسكهم بالأثر فيقول (رحمه الله) :

« واعلم أن أئمة الدين ، وعلماء المسلمين - أجمعوا على قراءة السبعة حين اعتبروا قراءتهم ، وتدبروا روايتهم ، وعلموا ثقتهم وعدالتهم ، وإنما سلكوا المحجة العظمى ، ونكبوا عن بنيات الطرق ، (يريد المتشعب منها) - ورفضوا الشاذ ، واعتمدوا على الأثر ، وهجروا من خالف ذلك ، ولم يأخذوا عنه ، وتركوا قراءة من كان يرى جواز القراءة بما يجوز في العربية ، وإن لم يرجع إلى آثار مروية ، عملا بقول رسول الله ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »[2] .

ثم قال السخاوي :

« ومما يوضح تمسك هؤلاء الأئمة بالنقل ما نراه في قراءاتهم من قراءة حرف في موضع على وجه ، وقراءة ذلك الحرف في غير الموضع على خلاف ذلك ، كما قرأ نافع « يَحْزُن » في جميع القرآن إلا في الأنبياء[3] .

وكما قرأ القراء كلهم « سخريا » بالضم في الزخرف[4]، وكسره من كسره في سوى ذلك[5] .

---

(١) جـ ٢ ص ٦٤٤ .

(٢) النسائي ، صلاة العيدين ١٨٨/٣ ، ١٨٩ وانظر مسلم ٥٩٢/٢ .

(٣) آية ١٠٣ وانظر التيسير ص ٩١ .

(٤) آية ٣٢ .

(٤) انظر السبعة ٤٤٨ ، حيث اختلف القراء في آيتي المؤمنون آية ١١٠ ، وص ٦٣ - فقرأ حمزة ونافع والكسائي بضم السين ، وكسرها سائر السبعة ولم يقع بينهم خلف في ضم آية الزخرف .

وجاء في القرآن (إبراهيم) عليه السلام في تسعة وستين موضعا ، قرأ ابن عامر (رحمه الله) منها ثلاثة وثلاثين موضعا : (إبراهام) ، وقرأ (إبراهيم) في الباقي ، حتى انه يقرأ في السورة الواحدة في موضع منها (إبراهام) وفي آخر (إبراهيم)(١) .

ومن ذلك : (الأيكة) ، واختلافهم في موضعين ، وهي في القرآن في أربعة مواضع(٢) .

ثم ختم كلامه بقوله : « وهذا واضح في التمسك بالأثر »(٣) .

ومما يوضح صلة القراءات الصحيحة بالسند المتصل برسول الله ، وأن ذلك ركن القراءات قول ابن الجزري (رحمه الله) في تعريف القراءات :

« القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة(٤) .

وأخبر الأصمعي قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : « لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قريء ، لقرأت حرف كذا كذا ، وحرف كذا كذا »(٥) .

وروى عن علي (رضي الله عنه) أنه قال : نزل القرآن بلسان قريش ، وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبريل (عليه السلام) نزل بالنبر على النبي (ﷺ) ما همزنا وهو لغة قريش وأهل الحجاز(٦) .

فابن كثير - مثلا - وهو حجازي - يهمز تبعا لما رواه عن شيوخه (٧) .

---

(١) انظر التيسير ص ٦٧ .
(٢) انظر المصدر نفسه ص ١٦٦ .
(٣) جمال القراء ص ٦٤٤ وما بعدها .
(٤) منجد المقرئين لابن الجزري ص ٣ .
(٥) السبعة ص ٤٨.
(٦) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٠٨/٩ .
(٧) انظر مثلا المحكم في نقط المصاحف ص ١٥٢ .

ومما يوضح سنة القراءة ، وأنها تابعة للنقل والرواية والسماع من الشيوخ الأثبات ، ما جاء في كتاب السبعة لابن مجاهد من أنه قال :

« حدثني عبد الله بن علي ، قال : حدثنا ابن أخي الأصمعي[1] عن عمه قال : قلت لأبي عمرو بن العلاء : « وبراكنا عليه »[2] في موضع « وتركنا عليه »[3] في موضع ، أيعرف هذا ؟ فقال : ما يعرف الا أن يسمع من المشايخ الأولين .

قال الأصمعي : سمعت نافعا يقرأ : (يقص الحق) فقلت له : إن أبا عمرو يقرأ : (يقض الحق)[4] .

وقال : القضاء مع الفصل ، فقال نافع : وي يا أهل العراق . تقيسون في القرآن ، ومعنى قول أبي عمرو :القضاء مع الفصل : أي أني اخترت هذه لهذا ، ولم يرد رد القراءة الأخرى .

ومعنى قول نافع : تقيسون في القرآن : لم يرد به أن قراءتهم أخذوها بالقياس ، وإنما يريد أنهم اختاروا ذلك لذلك ، والقراءتان ثابتتان عندهما .

قال ابن أبي هاشم : قال يريد أنا لم نأخذ القراءة على قياس العربية ، إنا أخذناها بالرواية .

١ ـ اسمه عبد الرحمن كان ثقة فيما يرويه عن عمه وعن غيره .
٢ ـ هذه الآية وتاليتها .
٣ ـ وردتا في قصة إبراهيم عليه السلام بسورة الصافات ، الأولى رقم ١١٣ والثانية رقم ١٠٨ وصورتهما في مصحف عثمان واحدة .
٤ ـ سورة الأنعام ، آية ٥٧ وتمام الآية (وهو خير الفاصلين) .

تبرئة الإمام الطبري من تهمة إنكار القراءات المتواترة

صدر في رمضان سنة ١٣٩٨ هـ كتاب عن دار المعارف بالقاهرة يحمل عنوان : دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر .

ثم صدر في رمضان سنة ١٤٠٦ هـ :

كتاب موضوعه : القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره ، والرد عليه (من أول القرآن الى آخر سورة التوبة)* .

والكتابان كما يرى القارئ يصدران عن فكرة واحدة : هي أن ابن جرير الطبري ينكر القراءة المتواترة ، وقد وقف كل منهما في مواجهة شيخ المفسرين دفاعا عن القراءات .

وإذا كانت فكرة الكتابين واحدة ، فتبرئتي الطبري (رحمه الله) مما جاء في أحد الكتابين تكفي في تناول الكتاب الآخر ، وإن كانا يفترقان في بعض الجزئيات يغني عنها تناول كليهما الموضوع في إطاره العام ، الذي يتبين من تعريف كل منهما بكتابه :

جاء في التعريف بالكتاب الأول ما نصه :

« القراءات القرآنية المتواترة هي - في الإجماع الإسلامي - نازلة من عند الله ، أو هي مأذون بها من عند الله ، وقد صح سندها عن شخص رسول الله ... غير أن الإمام الطبري ضمن تفسيره ما يفيد رفضه لبعض القراءات المتواترة ، أو تقليله من شأنها ، أو دعوته لترك إحداهما لأجل الأخرى .

---

* تعمدت إغفال أسماء المؤلفين ، لما كان القصد الأول النصح الخالص لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم ، وتأسيا بالرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان يقول في نحو ذلك : « ما بال أناس يقولون كذا وكذا .... وفقنا الله جميعا على اتباع سنته .

وجاء في التعريف بالكتاب الآخر ما كتبه صديق للمؤلف ـ في التقديم حيث قال :

« عالج الباحث ـ جزاه الله خيرا ـ موضوع القراءات المتواترة التي تناولها محمد بن جرير الطبري في تفسيره « جامع البيان في تفسير آي القرآن » وقد تناول جانبين رئيسيين ، هما ، « إنكارها ـ أي القراءات ـ متواترة ، وتفضيل بعضها على بعض » .

*

« لقد وفق الله تعالى الباحث الى دحض كل افتراء بتناول موضوع القراءات المتواترة » .

هكذا سمى مقدم الكتاب عمل المؤلف دحضا ، وعمل الطبري افتراء على القراءات المتواترة[1] .

وأما المؤلف فقد جعل محتويات كتابه عشرة ، يهمنا من هذه العشرة الرابع والأخير ، إذ قال :

٤ ـ سد المنافذ التي ينفذ منها المستشرقون الى الطعن في كلام الله .

١٠ ـ منع إنكار القراءات ، وتفضيل بعضها على بعض ، وفي هذا القول مخالفة للسنة الشريفة ..

*

وقد قرأت الكتاب : كتاب القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليها ... وقصصت * مآخذ المؤلف على الامام الطبري ، فتبين لي أنها تتضمن ما يلي :

---

(١) ص : ٤ .

* قصصت : بمعنى تتبعت .

أولاً : إيهام الطبري للقُرّاء ، فالطبري يذكر نادرا أسماء القراء ، ويجمل غالبا فيقول مثلا : قراءة أهل الحجاز ، والكوفة ، والشام - وفي قراءة بعض أهل الحجاز ، وبعض أهل البصرة(١) .

ثانيا : الحكم بالخطأ على القراء المتواترة ، فيقول مثلا : « وأولى القراءتين في ذلك بالصواب(٢) أو يقول : « والصواب من القراءة عندنا »(٣) وقد عد المؤلف ذلك إنكارا من الطبري للقراءة الأخرى(٤) .

ثالثا : تفضيل إحدى القراءتين على الأخرى ، وقد حكم المؤلف بأن هذا التفضيل من الطبري لا يجوز بل حرام ؛ لأن ذلك يؤدي الى الطعن في القراءات المتواترة ، والإنكار بها (كذا) وهذا خطير جدا(٥) .

وقال المؤلف في موضع آخر :

وهذا - مشيرا الى تفضيل إحدى القراءتين على الأخرى - وهذا الكلام في غاية الخطورة ، لأنه يعتبر إنكارا لقراءة متواترة ، يحرم إنكارها ، ويكفر من ينكرها تعمدا عند جمهور العلماء »(٦) .

وقال في الصفحة نفسها ، « وما دام الأمر كذلك - مشيرا إلى أن القراءتين مرويتان - فإن إنكار إحدى احدى القراءتين المتواترة يعتبر خروجا عن طريق السلف الذي مهده النبي ﷺ ، حيث قال للذين اختلفوا في القراءات : « هكذا أنزلت » ، وقال للجميع : أصبت ؛ لأن هذا أمر توقيفي لا مجال للرأي فيه ، وإنما مداره التلقي ، والأخذ إماما عن إمام »(٧) .

---

(١) انظر ص ١٩٧ و ١٩٨ .
(٢) انظر ص ١٩٢ .
(٣) ، (٤) انظر ص ١٧٩ .
(٥) القراءة المتواترة ص ٢٣١ .
(٦) القراءات المتواترة ، ص ٢٣٠ .
(٧) المصدر السابق والصفحة نفسها .

ويبدو أن المؤلف أحس بأنه قد ركب صعبا ، فحاول التخفيف من كلامه ، وتهذيبه مع الإمام الطبري فقال - في الهامش !!(١) - : « وأما ابن جرير فلم يتعمد ذلك ، بل حصل منه ذلك سهوا وخطأ ، ولاشك في ذلك - ولكن لنا حق في أن نبين الحقيقة !! أقول - والكلام لصاحب المقال - وذلك عندي اعتذار مريض ، فمعقول أن يسهو الطبري مرة أو مرتين ، لكن يظل على سهوه وخطئه على مدى تفسيره ، فهذا أمر غير صحيح وغير معقول ولا مقبول .

ومما لحظته على المؤلف ، أنه في رده على الطبري يأخذ من النصوص مايتفق هو ومايذهب إليه ، ويدع من النصوص مايدحض مايرى ويقول ... وسأسوق لتوضيح ذلك ما يلي :

في إيراده كلام الطبري عن القراءات المختلفة في قوله تعالى : (وما يَخْدَعُونَ إلا أنفسهم) وأنها قرئت أيضا :﴿ وما يخادعون إلا أنفسهم ﴾ رأى الطبري أن قراءة (وما يخدعون إلا أنفسهم) أولى بالصحة من قراءة من قرأ (وما يخادعون) ، فان الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يخادعون الله والمؤمنين في أول الآية ، فمحال أن ينفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه ، لأن ذلك تضاد في المعنى ، وذلك غير جائز من الله تعالى(٢) - قال المؤلف معقبا على كلام الطبري فكان مما قال :

« كلتا القراءتين متواترة ثابتة عن رسول الله (ﷺ) ، ولا يمكن في أي حال من الأحوال إنكار قراءة تواترت عند أهل هذا الشأن ، والأسلوب الذي وجه الشيخ به (يقصد الإمام الطبري) - لا يليق بشرف القراءة ؛ لأن اختلاف القراءات لا يكون فيه تناقض ولا تخالف ، بل يكون كله حقا وصوابا ، ولهذا

---

(١) هامش ص ٣٣٠ .

(٢) القراءات المتواترة ص ١٥٠ .

أثبت جميع من وجّه القراءات في هذا الموضع هذا اللفظ ، ووجهه بتوجيه سليم لا يمس إحدى القراءات ، وعلى سبيل المثال : اسمع ما قال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه : الكشف عن وجوه القراءات السبع »[1] .

(وما يخدعون إلا أنفسهم) وعلة من قرأ بغير ألف أن أهل اللغة حكوا : خادع ، وخدع بمعنى واحد ، والمفاعلة قد تكون من واحد كقولهم : داويت العليل ، وعاقبت اللص ، فلما كان « خادع ، وخدع » بمعنى واحد اختار « خدع » فحمله على معنى الأول ؛ لأنه بمعنى « يخدعون » ، ولم يحمله على اللفظ ، فبين أن الأول محمول على « يخدعون » .

وأيضا ، فإن « فعل » أخص بالواحد من فاعل ، إذ فاعل أكثر ما يكون من اثنين . ويقوي هذا المعنى أن مخادعتهم إنما كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ، وللمؤلفين ، ولم يكن من النبي والمؤمنين لهم مخادعة ، فدل على أن الأول من واحد بمعنى « يخدعون » ، فجرى الثاني على معنى الأول .

ويدل على ذلك قوله لنبيه عليه السلام : (وإن يريدوا أن يخدعوك)[2] فالخداع منهم خاصة كان وقد أجمعوا على: (وهو خادعهم)[3] من « خدع » .

وأيضا ، فإن الإخبار جرى عنهم في صدر الآية بالمخادعة لله ، فيبعد أن تنفي تلك المخادعة التي أوجبها لهم ، وأخبرنا عنهم بالمخادعة في صدر الآية .

---

(١) ج ١ ص ٢٢٤ - ويلحظ أن المؤلف حذف من كلام مكي ما يلي : قوله : « وما يخدعون » قرأ الكوفيون ، وابن عامر بفتح الياء وإسكان الخاء من غير ألف ، وقرأ الباقون بضم الياء وبألف بعد الخاء ، وكسر الدال أ . هـ (سورة البقرة آية ١٠٤) وبدأ حديثه بقول مكي :(وما يخدعون إلا أنفسهم) وعلةمن قرأ ..

(٢) سورة الأنفال : آية ٦٢ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٤٢ .

ومعنى (يخادعون الله) أي : أولياء الله ، ومعنى الخداع : إظهار خلاف ما في النفس ، والنبي والمؤمنون لا يفعلون معهم هذا .

ثم مضى المؤلف في إيراد ما قاله مكي في الكشف حيث نقل منه : « وعلة من قرأه بالف إنما لما كان (يخادعون ، ويخدعون) في اللغة بمعنى واحد ، أجرى الثاني على لفظ الأول ² اذ معناها : (يخدعون أولياء الله) فذلك أحسن في المطابقة والمشاكلة بين الكلمتين أن تكونا بلفظ واحد .

وأيضا فإن المبرد قال : معناه « وما يخادعون بتلك المخادعة المذكورة أولا إلا أنفسهم » إذ وبالها راجع عليهم « فوجب ألا يختلف اللفظ ، لأن الثاني هو الأول .

« قال أبو محمد : وقراءة من قرأ بغير ألف أقوى في نفسي ؛ لأن الخداع فعل قد يقع وقد لا يقع ، والخدع فعل وقع بلاشك ، فإذا قرأت ٠ وما يخدعون) أخبرت عن فعل وقع بهم بلاشك ، وكذلك هو إذا قرأت : (وما يخادعون) جاز أن يكون لم تقع بهم المخادعة ، وأن تكون قد وقعت ، فـ (يخدعون) أمكن في المعنى[1] .

وبغير ألف قرأ الحسن ، وأبو جعفر ، ومورق[2] ، وقتادة[3] .

وأبو عبد الرحمن السلمي ، وطلحة ، وابن أبي ليلى ، وابن أبي إسحق ، والجحدلي ، والسختياني ، وعيسى بن عمر ، وابن إلياس ، وعمرو بن عبيد .

---

٢ ـ ترك المؤلف نقل ما تحته خط .

١ ـ هو مورق بن عبد الله العجلي ، روى عن ابن عمر ، ت ١٠٨ هـ .(انظر تاريخ الاسلام ، وطبقات مشاهير الأعلام ٢٠٦/٤) .

٢ ـ قتادة بن دعامة التابعي أحد أئمة الحروف والتفسير ، حجة في الحديث ، وثقه ابن معين (ت ١٧١ هـ) ترجم في ابن سعد ٢٢٩/٧ .

قال أبو حاتم : العامة عندنا على (وما يخدعون) ، وهي على قراءة يحيى ابن وثاب ، والأعمش[1] ، وهي اختيار أبي عبيد ، وأبي طاهر ، وغيرهما .

قال أبو محمد : والقراءة الأخرى حسنة ، ويقويها اتفاق أهل المدينة ومكة عليها ، وهي قراءة الأعرج ، وابن جندب ، وشيبة ، وابن أبي الزناد[2]، ومجاهد ، وابن محيص ، وشبل[3] »[4] .

وأخيرا قال أبو محمد مكي بن أبي طالب :وحمل القراءتين على معنى واحد أحسن ، وهو أن :« خادع وخدع » بمعنى واحد في اللغة ، فيكون : « وما يخادعون ، وما يخدعون » بمعنى واحد من فاعل واحد » .

أقول : ولم يتنبه المؤلف الى ما قاله مكي أخيرا ، ولو تنبه إليه لحذفه كما حذف نظيره ، لدلالته على التفاضل بين القراءات ، في قول مكي :

« وحمل القراءتين على معنى واحد أحسن » ، وهو أن « خادع وخدع بمعنى واحد في اللغة ، فيكون : وما يخادعون ، وما يخدعون بمعنى واحد من فاعل واحد » .

هذا ، ولم يفت المؤلف أن يتعجرف على الطبري فقال معلقا على كلام مكي الذي نقله مبتورا ، « والجمع بين هاتين القراءتين ، والتوفيق بينهما هو الذي يجب علينا كما ذهب الى ذلك علماء التوجيه ـ أن نتأدب به ، ونذهب اليه دون أن نحاول تفضيل قراءة على قراءة »[5] .

---

(١) انظر طبقات القراء ١/٣١٥ . (٢) انظر طبقات القراء ١/٣٧٢ .

(٣) ترجم في طبقات القراء ١/٣٢٣ .

(٤) ما تحته خط حذفه المؤلف ، لأن فيه ما يدل على التفاضل بين القراءات ـ وهو ما ينكره المؤلف على الطبري ـ وانظر قول مكي : « وقراءة من قرأ بغير ألف أقوى في نفسي » وقوله : قال أبو حاتم : العامة عندنا على « وما يخدعون » وهي على قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وهي اختيار أبي عبيد ، وأبي طاهر ، وغيرهما » .

(٥) القراءات المتواترة ص ١٥١ .

ثم ، لينظر القاريء تعريض القاريء بالامام الطبري (رحمه الله) في كلامه هذا الأخير .. (عفا الله عنه) .

وأمضى من بعد في :

« تبرئة الامام الطبري من تهمة إنكاره القراءات المتواترة »

فأولا ـ تبرئة الامام الطبري من تعمده إبهام القراء :

أما إبهام الطبري للقراء فهذا صحيح ، وأما أنه أبهمهم عن تعمد منه ، وأنه قصد إلى ذلك قصدا فغير صحيح ، ذلكم لأن الطبري (رحمه الله) لم يكن له بالقراء علم ، وكذلك العلماء الذين كانوا في عصره حتى سبع ابن مجاهد السبعة سنة ثلاثمائة من الهجرة أو نحوها .

فقد ظل الناس على غير علم بسبعة القراء في الأمصار ، والذين تخيرهم ابن مجاهد ، وكان هـــو أول من اختارهم ، ولم يسبقه إلى ذلك أحد من العلماء[1] .

وقد يقال : ألم يعش الامام الطبري حتى توفاه الله سنة عشر وثلاثمائة ؟ ألم يكن ابن مجاهد قد سبع السبعة سنة ثلاثمائة ؟

فالجواب عن ذلك : بلى . ولكن الطبري كان قد انتهى من تفسيره الكبير بما فيه من إجمال للقراء سنة تسعين ومائتين ، فأنَّى له أن يعرف سبعة القراء تفصيلا ؟ . إلا أن تكلفه علم الغيب ، والله وحده علام الغيوب .

والدليل على أن الطبري قد فرغ من تفسيره قبل تسبيع ابن مجاهد السبعة بنحو عشر سنين ما جاء عن أبي بكر بن بالويه أنه قال :

« قال لي أبو بكر محمد بن إسحق يعني ابن خزيمة : بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير ؟ قلت : نعم ، كتبنا التفسير عنه إملاء .

(١) انظر الإبانة لمكي بن أبي طالب ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ص ٩٩ .

قال : كله ؟ قلت : نعم .

قال : في أي سنة ؟ قلت : من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين[١] .

أرأيت أيها القاريء الكريم كيف أن الطبري بريء مما نسبه إليه مؤلف كتاب « القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره ؟ »

لقد ألح المؤلف إلحاحا شديدا في اتهام الطبري بهذه التهمة . فتكرر ذلك منه في صفحات متتالية من كتابه ، فمن هذه الصفحات : ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٨٦ ـ ١٨٨ ـ ١٩١ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ٢٣١ ـ ٢٤٥ ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٧ ـ ٣٤١ ـ ٣٨٠ ـ ٤٥٧ ـ ٤٦٢ ـ .. الخ ، ومرة أخرى : فَأَنَّى للطبري أن يعلم القراء السبعة (سنة ٢٩٠ هـ) قبل تسبيع ابن مجاهد لهم سنة ٣٠٠ هـ . وينص علماء القراءات أن ابن مجاهد كان أول من سبع السبعة وأنه لم يسبقه أحد في ذلك الصنيع؟[٢] .

وإليك مثالا واحدا من أمثلة كثيرة من ظلم المؤلف للإمام الطبري واتهامه بإبهام القراء ـ يريد المؤلف بإبهام القراء عدم ذكر أسمائهم ـ

جاء في ذكر الطبري (رحمه الله) القراء في قوله تعالى : (واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم ...)[٣] .

قال الشيخ الإمام الطبري (رحمه الله تعالى) : والقراءة مختلفة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة ومكة : (ولا تقاتلوهم ... ثم قال : وقرأ ذلك معظم قراء الكوفيين : (ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام) .

---

(١) معجم الأدباء ٢٢/١٨ ونقله الذهبي في « التفسير والمفسرين » ٢٢٤/١ .
(٢) الإبانة ص ٩٩ وانظر المرشد الوجيز ص ١٥٧ .
(٣) سورة البقرة ، آية ١٩١ .

وكان مما علق به المؤلف على كلام الطبري ـ متعلقا بإبهام الإمام للقراء ـ قال :

« وقد أبهم الشيخ الذين يقرءون بالألف : « ولا تقاتلوهم » ولم يذكر أسماءهم حيث قال : فقرأته عامة قراء المدينة ومكة ، ثم قال .. وإليك بيان أسمائهم :

وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب .. وكذلك أبهم الذين يقرءون ذلك بغير ألف وهم حمزة الزيات والكسائي وخلف العاشر ... والله أعلم . ثم قال المؤلف معقبا على الطبري ومنكرا : « وكان على الشيخ أن يذكر أسماء هؤلاء القراء المعروفة ، وأما نسبتهم الى بلادهم فلا تكفي ، لأن بعض الباحثين لا علم لهم بالقراءات ، ويشكل عليهم ذلك »(١) .

وقال في موضع آخر : « كان الواجب عليه ـ والضمير يعود على الطبري ـ أن يبين أسماء هؤلاء القراء العشرة ولو في بعض المواضع »(٢) .

ومما يتصل بهذا الاتهام الذي منه الطبري بريء أن جماعة من العلماء تركوا في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة وأطرحهم :

(كان هؤلاء قبل ابن مجاهد) .

قال مكي :

« قد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر ، وزاد نحو عشرين رجلا من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة ، وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات عن هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلا وكذلك فعل أبو عبيد ، وإسماعيل القاضي »(٣) .

---

(١) ص ١٨٦ من كتاب المؤلف .

(٢) انظر ص ١٧٥ .

(٣) الإبانة عن معاني القراءات ص ٣٧ و ٣٨ .

فكيف نحاسب الطبري على إبهامه السبعة أو العشرة ولما يؤلّف فيهم ؟ .

وأنتقل بعد ذلك إلى تنفيذ اتهام الطبري بتضعيفه بعض القراءات المروية .. فأقول وبالله التوفيق :

ثانيا - تبرئة الطبري من الحكم بالخطأ على القراءة المتواترة :

كان الطبري (رحمه الله) رجل فقه وحديث ، شأنه شأن عُظْمِ القراء الأئمة ، وهم في ذلك أهل بصر وبصيرة بالإسناد من حيثُ قوتُه أو ضعفُه ، ودرجات كل من هذين : القوة أو الضعف جاء في كتاب المرشد الوجيز :

« ذكر الإمام أبو عبيد في أول كتابه في القراءات ما يعرفك كيف كان هذا الشأن - يشير الى القراء من أول الاسلام ... فذكر القراء من الصحابة ، ... ثم قال بعد ذكر التابعين :

« فهؤلاء الذين سمينا من الصحابة والتابعين هم الذين يحكى عنهم عظم القراءة ، وان كان الغالب عليهم الفقه والحديث »(١) .

فان كان من الطبري تضعيف لبعض القراءات أو إنكار ، فلم يكن ذلك منه للقراءات المتواترة حاش لله . وهل يخفى عليه ذلك وقد كان كما يقول الخطيب البغدادي وغيره أحد الأئمة الأعلام ، يُحْكَم بقوله ، ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، فكان حافظا لكتاب الله ، بصيرا بالقرآن ، عارفا بالمعاني ، فقيها في أحكام القرآن ، عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم ...(٢) .

وقد نهج الطبري (رحمه الله) طريقة خاصة ، كان من أهم سماتها : الاعتماد على المأثور ، وإنكاره على من يفسر القرآن بالرأي ، وقد ذكر في

---

(١) المرشد الوجيز ص ١٦٣ .

(٢) انظر الطبري للدكتور أحمد الحوفي ص ١٠٩ .

صدر تفسيره في فصل عقده لذكر بعض الأخبار التي رويت في النهي عن القول في تفسير القرآن بالرأي ومن هنا التزم في تفسيره ذكر الروايات بِأسانِيدِها الا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب بتصحيح ولا تضعيف ، لأنه كان يرى كما هو مقرر في أصول الحديث أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ، ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح ، فهو بعمله هذا قد خرج من العهدة(١) .

أقول : ومن النادر ما ذكره في تضعيفه قراءة ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ من قوله تعالى : ﴿ انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ .

قال الإمام الطبري : قرأت عامة القراء : ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ (٢) بضم التاء من تسأل ورفع اللام منها على الخبر ... وقرأ ذلك بعض أهل المدينة : ﴿ ولا تسألْ عن أصحاب الجحيم ﴾ جزما بمعنى النهي ... وتأول الذين قرأوا هذه القراءة ما حدثنا أبو كريب قال :

حدثنا وكيع عن موسى بن أبي عبيدة عن محمد بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: ليت شعري ما فعل أبواي ، فنزلت ﴿ولاتسأل عن أصحاب الجحيم﴾ .

قال أبو جعفر : والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع على الخبر ... وأخذ الإمام الطبري في تقرير ما اتجه إليه من تصويب قراءة من قرأ بالرفع على الخبر ... ثم قال :

فإن ظن ظان أن الخبر الذي روى عن محمد بن كعب صحيح ، فإن في استحالة الشك من الرسول ﷺ في أن أهل الشرك من أهل الجحيم ، وأن أبويه كانا منهم ـ ما يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب إن كان الخبر عنه صحيحا .

---

(١) انظر التفسير والمفسرون للذهبي ٢١/١ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١١٩ .

تعليق : في النسخة المحققة من الأخوين آل شاكر ، ذكر المحدث الشيخ أحمد شاكر أن الحديث مرسل ، فإن محمد بن كعب ابن سليم التابعي ، والمرسل لا تقوم به حجة ، ثم قال : إسناده ضعيف بضعف رواية : موسى بن عبيدة .. الخ(١) .

ولعلك ـ أيها القاريء الكريم ـ تلحظ التلميح بتضعيف الإمام الطبري للخبر الذي روى عن محمد بن كعب ـ من قوله (رحمه الله) فان ظن ظان أن الخبر الذي روي عن محمد بن كعب صحيح ، فان في استحالة الشك من الرسول ﷺ في أن أهل الشرك من أهل الجحيم ، وأن أبويه كانا منهم ـ ما يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب إن كان الخبر عنه صحيحاً(٢) .

* * *

قد يتواتر الخبر عند قوم دون قوم

قال الإمام علم الدين السخاوي ما ينصف الطبري ، جاء في جمال القراء :

« والذي لم يزل عليه الأئمة الكبار ، القدرة في جميع الأمصار ، من الفقهاء ، والمحدثين ، وأئمة العربية ، توقير القرآن ، واجتناب الشاذ ، واتباع القراءة المشهورة ... »

ثم أورد السخاوي قوله لابن مهدي الإمام المحدث الحافظ ت ١٩٨ هـ (٣) تؤكد ما لزمه الطبري في رده القراءات ذوات الرواية الضعيفة ، قال ابن مهدي : « لا يكون اماما في العلم من روى عن كل أحد ، ولا يكون إماما في العلم من روى كل ما سمع »(٤) .

---

(١) هامش تفسير الطبري لآية ١١٩ من سورة البقرة .
(٢) تفسير الطبري لآية ١١٩ من سورة البقرة .
(٣) انظر حلية الأولياء ٣/٩ .
(٤) جمال القراء ٢٣٤/١ .

وقال خلال بن يزيد الباهلي المقرئ الثقة (ت ٢٢٠ هـ)[١] ، قلت : ليحيى بن عبد الله بن أبي مليكة : إن نافعا حدثني عن أبيك عن عائشة (رضي الله عنها) أنها كانت تقرأ : (إذ تَلِقُونه)[٢]، وتقول : « انما هو من ولق الكذب ، فقال يحيى : ما يضرك ألا تكون سمعته من عائشة ، نافع ثقة على أبي ، وأبي ثقة على عائشة ، وما يسرني أني قرأتها هكذا ولى كذا وكذا » .

قلت : ولم ؟ وأنت تزعم أنها قالت ؟ قال : لأنه غير قراءة الناس ، ونحن لو وجدنا رجلا يقرأ بما ليس بين اللوحين ما كان بيننا وبينه إلا التوبة أو تضرب عنقه ، نجيء به عن الأمة عن الأمة عن النبي (ﷺ) عن جبريل عن الله عز وجل ، وتقولون أنتم : حدثنا فلان الأعرج ، عن فلان الأعمى ، ما أدري ماذا ؟ أن ابن مسعود يقرأ غير ما في اللوحين ، إنما هو - والله - ضرب العنق أو التوبة[٣] .

وقال هرون بن موسى الأعور (ت قبل سنة ٢٠٠ هـ)[٤] .

« ذكرت ذلك لأبي عمرو - يعني القراءة المعزوة إلى عائشة - فقال : « قد سمعت هذا قبل أن تولد ، ولكنا لا نأخذ به[٥] .

ثم أقول :

لماذا أنكر أبو عمرو بن العلاء قراءة متواترة عند الكسائي ؟

قال محمد بن صالح : سمعت رجلا يقول لأبي عمرو : كيف تقرأ :

---

(١) ينظر غاية النهاية ٢٧٥/١ .

(٢) سورة النور ، آية ١٥ .

(٣) جمال القراء ٢٣٤/١ وما بعدها ، ونقله أبو شامة في المرشد الوجيز ص ١٨٠ .

(٤) ينظر غاية النهاية ٣٤٨/٢ .

(٥) جمال القراء ٢٣٤/١ .

﴿ لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد﴾[1]، قال : ﴿ لا يعذِّب عذابه أحد﴾ فقال له الرجل : كيف وقد جاء عن النبي (ﷺ) (لا يعذَّب عذابه أحد) ؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذي قال : سمعت النبي ﷺ ما أخذته عنه ، وتدري لم ذاك ؟ لأني أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة »[2] .

ويعقب السخاوي على ذلك فيقول : « وقراءة الفتح ثانية أيضا بالتواتر ، وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم ، وإنما أنكرها أبو عمرو لأنها لم تبلغه على وجه التواتر »[3] .

إن هذه النصوص تبرئ الطبري فيما أنكره . إن الذي أنكره من القراءات المتواترة عند غيره لم تتواتر عنده ـ وهو الرجل المحدِّث ، أليس ذلك التفسير أولى من أن نرميه بالكفر ، وأن نَصِمَه بأنه أتى بذنب عظيم يجب أن يستغفر منه [4] أو أتى بما يعد خروجا عن دائرة الأدب مع كتاب الله[5] ؟ .

إن المرء ليعجب أشد العجب !، الإمام الجليل أبو جعفر الطبري شيخ المفسرين لا يتأدب مع كتاب الله ؟. ويأتي في تفسيره بذنوب عظام يجب أن يستغفر منها ؟.

أرأيتم الاعتذار اللطيف عن إنكار أبي عمرو قراءة الكسائي بفتح الذال والثاء في قوله : (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد) إن السخاوي لم يشتم ولم يسب أبا عمرو . بل قال (رحمه الله) قراءة الفتح ثابتة

---

(١) سورة الفجر ، آية ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) جمال القراء ١/٢٣٥ .

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) القراءات المتواترة ص ٤٣٩ .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٤١ .

أيضا بالتواتر ، وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم ، وإنما أنكرها أبو عمرو لأنها لم تبلغه على وجه التواتر .. إنها بلغته على خلاف ما جاءت به العامة ، وكذلك كان الطبري من بعده ، قال (رحمه الله) في حديثه عن قراءة : (فيومئذ لا يعذِّب عذابه أحد ، ولا يوثِق وثاقه أحد) : أجمعت القراء قراء الأمصار في قراءة ذلك على كسر الذال من (يعذب) ، والثاء من (يوثق) خلا الكسائي ، فإنه قرأ ذلك بفتح الذال والثاء ، اعتلالا منه بخبر روي عن رسول الله ﷺ نــه قرأه كذلك **واهي الاسناد** » ، حدثنا ابن حميد قال : ثنا مهران عن خارجة ، عن خالد الحـذاء عن أبي قلابــة قــال : ثني من أقـرأه النبي ﷺ : (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) ، والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار ، وذلك كسر الذال والثاء ؛ لإجماع الحجة من القراء عليه »[١] .

وقد يقول قائل : ألـم تتواتر قراءة الكسائي هذه عند ابن مجاهد ؟ فالجواب : بلى ، ونجيب بما أجاب به الإمام علم الدين السخاوي : « قد يتواتر الخبر عند قوم دون قوم »[٢] إلى أن تفسير الطبري انتهى الرجل من إملائه سنة تسعين[٣] قبل أن يسبع ابن مجاهد السبعة نحو سنة ٣٠٠ هـ ولم يسبقه أحد في ذلك الصنيع[٤] كما سبق البيان .

وتضعيف الروايات الشاذة عن قراءة مجمع عليها من قراء الأمصار أمر مأخوذ به ـ يقرر ذلك التضعيف الزجاج ٣١١ هـ في معاني القرآن إذ يقول عند

---

(١) الجزء الثلاثون من تفسير الطبري ص ١٢١ .
(٢) جمال القراء ص ٢٣٥ .
(٣) معجم الأدباء ٢٢/١٨ .
(٤) الابانة ص ٩٩ .

كلامه على قوله تعالى : (القيوم)[1] : « فأما القيوم فقد روي عن عُمَرَ وابن مسعود جميعا أنهما قرآ القيام ، وقد رويت القيم ، والذي ينبغي أن يقرأ ما عليه المصحف ، وهو القيوم بالواو ، والقيم أيضا جيد بالغ كثير في العربية ، ولكن القراءة بخلاف ما في المصحف لا تجوز ؛ لأن المصحف مجمع عليه ، ولا يعارض الإجماع برواية لا يعلم كيف صحتها ؟ »[2] .

الحقيقة في مأخذ للأقدمين على الإمام الطبري

إن مكانة الإمام الطبري (رحمه الله) عند الأقدمين مكانة مرموقة ، قدروها حق قدرها ، ورعوها حق رعايتها ، ولم أقرأ - فيما قرأت - عن اتهام للطبري ، أو مأخذ أخذ عليه في ميدان القراءات ، اللهم إلا ما ظنه أبو طاهر ابن أبي هاشم أن الإمام الطبري طَعَنَ على قراءة ابن عامر .

يقول الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة : « وقع في « كتاب البيان » لأبي طاهر بن أبي هاشم كلام لأبي جعفر الطبري ، ظن منه أنه طعن على قراءة ابن عامر ، وانما حاصله أنه استبعد قراءته (أي قراءة ابن عامر) على عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على ما جاء في بعض الروايات عنه » . ثم عقب أبو شامة على ذلك بأنه « غير ضائر » .

ثم استرسل أبو شامة (رحمه الله) في تفصيل ما أجمل وتفسيره فقال : « فهب أنه لم يصح أنه قرأ على عثمان ، فقد قرأ على غيره من الصحابة ، وكان يقول : هذه حروف أهل الشام التي يقرؤنها » ...

ثم تصدى أبو طاهر في تحقيق هذا الأمر ، وتفسيره تفسيرا على وجه حسن سليم فقال : « وأحسن الوجوه عندي أن يقال : « إن قراءة ابن عامر

---

١ - سورة آل عمران ، آية ٢ .

٢ - معاني القرآن للزجاج ١/٣٧٣ وما بعدها ، تحقيق د/عبد الجليل شلبي .

قراءة اتفق عليها أهل الشام ، وإنها مسندة إلى أحد مـن أصحاب رسول الله (ﷺ) ...

ثم قال : « ولم يتفقوا إن شاء الله عليها إلا ولها مادة صحيحة من بعض الصحابة تتصل برسول الله (ﷺ) ، وإن كنا لا نعلمها كعلمنا بمادة قراءة الحرمين[1] : والعراقيين »[2] .

ومن بعد ، « قال أبو طاهر كلاما يوحي أن هناك من هو أحق من ابن عامر بأن يكون سابعا لأئمة القراءة ـ ذلكم هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، فهو أولى من ابن عامر ، اذ كانت قراءته منقولة عن الأئمة المرضيين ، وموافقة للمصحف المأثور باتباع ما فيه ... »[3] .

ثم زكى اختيار ابن مجاهد وتمسكه بفعله فقال : « ولكنا لا نعدل عما مضى عليه أئمتنا ، ولا نتجاور ما رسمه أولونا ، إذ كان ذلك بنا أولى ، وكنا إلى التمسك بفعلهم أخرى »[4] .

لكن ، لماذا اختار ابن مجاهد الإمام ابن عامر وجعله سابعا للأئمة القراء ، وغيره أحق منه كما ترى ؟

يفسر أبو شامة هذا ، ويجيب عنه في قوله :

« كان غرض ابن مجاهد أن يأتي بسبعة من القراء من الأمصار التي نفدت اليها المصاحف ، ولم يمكنه ذلك في البحرين ، واليمن ، لإعواز أئمة

(١) الحرمين : مكة والمدينة .
(٢) العراقيين : مثنى العراق ، اسم أطلق على الكوفة والبصرة سابقا .
انظر : معجم البلدان ٦/١٣٢ .
(٣) انظر المرشد الوجيز ص ١٦١ وما بعدها .
(٤) المصدر السابق والصفحة .

القراءة منهما ، فأخذ بدلهما من الكوفة لكثرة القراءة بها ، وإذا كان هذا غرضه فلم يكن له بد من ذكر إمام من أهل الشام ، ولم يكن فيهم من انتصب لذلك من التابعين مثل ابن عامر ، فذكره »[1] .

هذا ـ فيما أعلم ـ ما زعم من أن الإمام الطبري طعن به على ابن عامر ، وذلك أحسن ما قيل في تبرئة الطبري منه ، على ما كان من أبي طاهر (على الجميع رحمة من الله ورضوان) .

تعليق :

في كلمة أبي طاهر ما يدل على التفاضل بين القراءات ، فقراءة الأعمش كانت أولى بالاختيار من قراءة ابن عامر والله أعلم .

ومما يتصل بالمفاضلة بين القراءات :

توجيه القراءات ، والترجيح

وقد تحدث الزركشي في كتابه البرهان عن توجيه القراءات[2] ، فذكر فائدة هذا الفن ، وأشار إلى طرق ممن ألفوا فيه سواء كانوا محتجين للسبعة كأبي علي الفارسي أو الشواذ كابن جني وابن خالويه .

ثم أخذ في بيان فائدته ، فذكر أن من فوائد التوجيه أن يكون دليلا على حسب المدلول عليه ، أو مرجحا . وأورد كلاما يفهم من إدانة الطبري في ترجيحه بعض القراءات عن بعض ، ولكن المتمعن يتبين أنه يسير في طريق الطبري ، ومن لف لفه من المحتجين كمكي وغيره .

---

(١) انظر المرشد الوجيز ص ١٦١ وما بعدها .

(٢) البرهان ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ .

وشرح ذلك أقول : جاء في البرهان ما نصه : « ينبغي التنبيه على شيء ، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط القراءة الأخرى ، وهذا غير مرضي ، لأن كلتيهما متواترة ، ثم حكى عن ثعلب قوله : نرجيء التعليق عليها الى حين .

ومما أورده في هذا الباب قول أبي جعفر النحاس ـ وقد حكى اختلافهم في ترجيح (فك رقبة)[1] بالمصدرية والفعلية ، فقال :

« والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلاّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فيهمـــا قراءتان حسنتان لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرى .

وقال (أي أبو جعفر النحاس) في سورة المزمل : « السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألاّ يقال : أحدهما أجود ، لأنهما جميعا عن النبي ﷺ ، فيأثم من قال ذلك .. ونقل مثل ذلك عن أبي شامة في الترجيح بين قراءة « مَلِك » و« مالك »[2] .

إن هذا الكلام ، وما كان مثله ـ يدين في ظاهره الطبري ، والفارسي ، وابن خالويه ، ومكي ... وغيرهم من المحتجين للقراءات ، والموجهين لها ، وقد رجحوا كثيرا قراءة على أخرى ـ[3] .

---

(١) سورة البلد ، اية ١٣ .

(٢) سورة الفاتحة ، آية ٣ .

(٣) قال الشيخ أبو العباس المهدوي : « ولست فيما قدمته في هذا الفصل بمعتقد تفضيل بعض كلام الله تعالى على بعض في الذات ، إذ كان ذلك إنما يجوز في المخلوقات لكن لما كان الأجر يزيد بزيادة القراءات ، واتساع اللغات أطلقنا التفضيل في الأجر لا في الذات .

كتـاب بيان السبب الموجب لاخـتلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات للامام العلامة أبي العباس أحمد بن عـمار المهدوي (ت ٣٣٠ هـ) رقمه بمركز احياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ٦١٨ مجاميع من ١١٩ ـ ٢٢١ .

لكن المتأمل المتعمق فيما أورده الزركشي يجد أن الطبري بخاصة - وهو موضوع الحديث - لم ينكر قراءة متواترة ، ولم يردها ، واقرءوا معي هذه النصوص التي أوردها في كتابه التفسير عن معايير الاختيار عنده (رحمه الله) .

معايير اختيارات الطبري (رحمه الله)

فصصت المعايير التي يذكرها الطبري سببا لاختياره ، فرأيت اختياره يدور حول معايير ثلاثة :

أ - ما أجمعت الحجة من القراءة على قراءته .

ب - القراءة التي تمثل الأفصح والأعرف من كلام العرب .

ج - القراءة التي توافق خط المصحف العثماني ، ويشذذ ما عدا ذلك .

هذا ، ومعنى موافقة خط المصحف العثماني - يذكره أبو شامة في المرشد الوجيز فيقول : « لعل مرادهم بموافقة خط المصحف ما يرجع الى زيادة الكلم ونقصانها » .

وأما ما يرجع الى الهجاء ، وتصوير الحروف فلا اعتبار بذلك في الرسم ، فإنه مظنة الاختلاف ، وأكثره اصطلاح ، وقد خولف الرسم بالإجماع في مواضع من ذلك كالصلوة ، والزكوة ، والحيوة ، فهي مرسومات بالواو ، ولم يقرأها أحد على لفظ الواو [١] .

ثم يشرح أبو شامة (رحمه الله) معنى القراءة الشاذة فيقول :

« القراءة الشاذة ما نقل قرآنا من غير تواتر واستفاضة متلقاة بالقبول من الأئمة ، كما اشتمل عليه المحتسب لابن جني وغيره »[٢] .

---

(١) المرشد الوجيز ، ص : ١٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص : ١٨٤ .

وفيما يلي نصوص من كلام الطبري تشرح هذه المعايير بعد تصنيفها :

أولا - إجماع الحجة من القراء :

* إجماع الحجة التي يجوز عليها الخطأ بالكذب فيما نقله – دليل كاف على فساد قول من عارضه[١] .

* ماجاء به النقل مستفيضا حجة[٢] وما اجتمعت عليه القراءة حجة[٣] .

* لاوجه للحكم لإحدى القراءتين مع اتفاق معانيهما ، وكثرة القرأة بكل واحدة منهما – بأنها أولى بالصواب من الأخرى ، بل الواجب أن يكون القراءة بأيتهما قرأ – مصيب الحق في قراءته[٤] .

* القراءات إذا اختلفت في الألفاظ ، واتفقت في المعاني فأعجبها إلينا ماكان أظهر وأشهر في قرأة أمصار الإسلام[٥] .

* الحفاظ الثقات اذا تتابعوا على نقل شيء بصفة ، فخالفهم واحد منفرد ليس له حفظهم – كانت الجماعة الأثبات أحق بصحة مانقلوا من الفرد الذي ليس له حفظهم[٦] .

* أولى القراءتين القراءة المستفيضة ، وقراءة الأمصار التي لاتتناكر صحتها الأمة[٧] .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٦١ و ٦٥ ، وآية ١٠٢ .
(٢) جـ ٣ ، ص ١٩٥ ، تحقيق شاكر .
(٣) جـ ٦ ، ص ٤٤٢ .
(٤) جـ ٥ ، ص ١١٩ .
(٥) جـ ٦ ، ص ٥٦٩ .
(٦) تفسير الطبري ، جـ ٩ ، ص ٥٦٦ .
(٧) المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٧٨ . تحقيق شاكر .

* إذا أجمعت قرأة الأمصار على قراءة فليس لأحد خلافها ، وإن كان الوجه الآخر صحيحا في العربية صحيح المعنى[(١)] .

* القراءتان المعروفتان إذا قرأ بهما جماعة كثيرة من القرأة ، وكانتا متفقتي المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيبٌ[(٢)] .

ثانيا ـ اللغة الجودى الأفصح الأعرف من كلام العرب :

* « قراءة القرآن بأفصح اللغات أولى وأحق بغير ذلك »[(٣)] .

* « تأويل كتاب الله بالأفصح الأعرف من كلام العرب دون الأنكر الأجهل من منطقها »[(٤)] .

* « توجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات أولى من توجيهه إلى الأنكر »[(٥)] .

* « لاتجوز القراءة بغير القراءة التي تظاهر النقل من القراءة بها وهي اللغة الجودى »[(٦)] .

* « توجيه كلام العرب إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه كتابه ـ أولى بنا من توجيهه إلى الأنكر من كلامهم »[(٧)] .

---

(١) تفسير الطبري جـ ١٥ ، ص ٢٧٦ .

(٢) المصدر السابق . جـ ١٦ ص ٥٧٥ ، تحقيق شاكر .

(٣) جـ ٩ ، ص ٤٨٥ .

(٤) جـ ٣ ، ص ٢١٠ ، دار المعارف .

(٥) جـ ٥ ، ص ٣٣٧ .

(٦) جـ ٦ ، ص ٤٣٧ .

(٧) جـ ٨ ، ص ٣٥٧ ، وانظر جـ ٩ ، ص ١٨٩ و ٣٢٢ و ٣٢٣ .

* « غير جائز توجيه شيئ من كتاب الله إلى الشاذ من لغات العرب ، وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ، ووجه معروف »[١] .

* « ليس لأحد أن يتلو القرآن إلا بالأفصح من كلام العرب ، وإن كان معروفا بعض ذلك من لغة بعضها »[٢] .

* « أحق الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التي نزل بها كلام الله »[٣] .

وهو هنا لا يسقط القراءة الأخرى ، ولكن يقرر أن الأخذ بالأفصح والجودى أولى وأحق ، هذا مع اعترافه بالأخرى .

أما قولة ثعلب التي يقول فيها : « إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعرابا على إعراب في القرآن ، فإذا خرجت إلى الكلام (كلام الناس) فضلت الأقوى »[٤] .

وقد جاء أوان التعليق على كلام الإمام ثعلب فأقول ، وبالله التوفيق : إن المعربين أنفسهم وهم أصحاب الصنعة ، ثم إن معظمهم قراء ـ هؤلاء المعربون يفضلون إعرابا على إعراب في القرآن ، جاء في تفسير الإمام القرطبي : قوله تعالى : ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ قرئ بالنصب على معنى : وجعل فيكون من باب قوله :

« علفتها تبنا وماء باردا »

وقول الآخر :

يا ليت زوجك قد غدا   متقلدا سيفا ورمحا[٥] .

والمعنى : وأسقيتها ماء ، وحاملا رمحا ، لأن الرمح لا يتقطر .

---

(١) جـ ١٢ ، ص ٣٢٢ وانظر ص ٢٣٦ من الجزء نفسه ، وانظر كذلك جـ ١٤ ، ص ٨٧ .
(٢) جـ ١٥ ، ص ١١٠ .
(٣) جـ ١٥ ، ص ٨٨ .
(٤) البرهان ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ .
(٥) تفسير القرطبي جـ ١ ، ص ١٩١ .

قال الفارسي : لا تجد هذا الاستعمال في حال سعة واختيار ، فلا نظر في أن الرفع أحسن ، والقراءة به أولى ، وتكون الواو عاطفة بجملة على جملة[1] ، وعبارة القرطبي : فقراءة الرفع أحسن[2] .

ثالثا ـ رسم المصحف :

* « غير جائز لأحد أن يزيد في مصاحف المسلمين ماليس فيها ، واستحقاق من يقرأ كذلك العقوبة »[3] .

* « غير جائز القراءة بحرف يخالف رسم خطوط مصاحف المسلمين »[4] .

* « غير جائز أن نشهد بشئ ليس بمصاحفنا من الكلام ـ أنه من كتاب الله »[5] .

الطبري يأخذ بصحة الأسناد[6] :

ذكر أبو جعفر الطبري القراءات في قوله : (هيتَ لك) .

فقرأة عامة قرأة الكوفة والبصرة : (هَيْتَ لك) .

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين : (هِئْتُ لك) .

وقرأ بعض المكيين : (هَيْتُ لك) .

وقرأ بعض البصريين وهو عبد الله بن إسحق : (هَيْتِ لك) .

قال أبو جعفر وأولى القراءة في ذلك قراءة من قرأه : (هَيْتَ لك) بفتح

---

(١) الحجة للفارسي جـ ١ ص ٢٣٣ .

(٢) تفسير القرطبي جـ ١ ص ١٩١ .

(٣) جـ ٣ ص ٢٤٥ ومابعدها ، ط / دار المعارف ، تحقيق شاكر . وجـ ٤ ص ٢٤٣ و ٢٦٢ .

(٤) تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٣٨٤ .

(٥) جـ ١٠ ص ٥٩٢ ، وانظر جـ ١٥ ص ٤٧٦ و ٤٧٩ .

(٦) تفسير الطبري جـ ١٦ ، ص ٢٤ ـ ٣٠ .

الهاء والتاء وتسكين الياء ، لأنها اللغة المعروفة في العرب دون غيرها وأنها في ذكر قراءة رسول الله ﷺ .

حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال ابن مسعود : قد سمعت القرأة ، فسمعتهم متقاربين ، فاقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع والاختلاف فإنما هو كقول أحدكم « هلم » و « تعال » ثم قرأ عبد الله : هيت لك ؟ فقلت :

يا أبا عبد الرحمن ، إن ناسا يقرءونها : هيت لك .

فقال عبد الله : إني أقرؤها كما علمت ، أحب الي(١) .

علق على هذا الشيخ شاكر فقال : هذا إسناد صحيح ، وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه(٢) .

الشـــــذوذ

* « القراءة الشاذة هي التي أجمعت الحجة من القرأة على خلافها »(٣) .

* « كفى بخروج القـراءة على قـراءة أهـل الإسـلام ـ شاهدا على خطئها »(٤) .

* « ما انفرد به من كان جائزا عليه السهو فغير جائز الاعتراض به على الحجة »(٥) .

---

(١) انظر استعمال عبد الله (رضي الله عنه) أفضل التفضيل (أحب إلي) وقد كان الطبري يستعمله اقتداء بعبد الله بن مسعود .

(٢) مختصر الفتح جـ ٨ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٣) تفسير الطبري جـ ١٦ ص ٤٠ ، تحقيق شاكر .

(٤) انظر جـ ٦ ص ٢٦٨ .

(٥) جـ ٣ ص ١٩٥ ط / دار المعارف . تحقيق شاكر .

* « لا تجوز القراءة بلغات العرب اذا لم نعلم قارئا قرأ بها »[1] .

* « لا يعـارض بالقـول الشاذ مـااستفـاض به القول من الصحابة والتابعين »[2] .

* « ما انفــرد به المنـفـرد عن القـرأة رأي ، ولايعترض بالـرأي على الحجة »[3] .

* « لا توجه معاني القرآن إلى الشواذ »[4] .

* « القراءة الشاذة عن قراءة الحجة ـ كفى بشذوذها عن قراءتهم دليلا على بعدها من الصواب »[5] .

* « غير جائز خلاف القراءة فيما جاء به حجة عليه »[6] .

* « أولى مـاقرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها وأعرفها دون أنكرها وأشذها »[7] .

* « غير جائز توجيه شئ من كتاب الله إلى الشاذ من لغات العرب »[8] .

* « حسب القراءة دلالة على فسادها خروج قارئها عما عليه قرأة أهل الأمصار »[9] .

تلكم معايير الاختيار عند الإمام الطبري ، وأعقب على اختيار الطبري بما ينصفه إن شاء الله فأقول قول الداني :

---

(١) جـ ١٦ ، ص ٨٣ .

(٢) جـ ٥ ، ص ٢٢٨ و ٢٧٦ .

(٣) جـ ٦ ، ص ٤٤٢ .

(٤) جـ ٧ ، ص ١٠٠ .

(٥) جـ ١١ ، ص ١٩٨ .

(٦) جـ ١٢ ، ص ٣٦ .

(٧) تفسير الطبري جـ ١٢ ، ص ٣١٧ .

(٨) جـ ١٢ ، ص٣٢٢ .

(٩) جـ ١٥ ، ص ٧٦ .

« إن إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة بالأمصار المراد بها أن ذلك القارئ ، وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة وآثره على غيره ، وداوم عليه ، ولزمه حتى اشتهر ، وعرف به ، وقصد فيه ، وأخذ عنه ، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد »[١] .

وقد جلس الطبري (رحمه الله) للإقراء ، وأخذ عنه تلاميذه اختياره ، وكلهم من الأئمة الأثبات ، وحسبه أن كان من الذين قرءوا عليه ابن مجاهد ، والكرجي الشيخ الجليل المقرئ[٢] وقرأ عليه باختياره أحمد بن عبد الله الجعفي[٣] شيخ الأهوازي[٤] الإمام الكبير المحدث شيخ القراء في عصره ، وأعلى من بقي في الدنيا إسنادا[٥] .

إن هؤلاء الذين أخذوا عن الإمام الطبري ، وقرءوا عليه ـ كلهم أئمة أثبات معروفون بالضبط ، فلو كان الطبري (رحمه الله) أنكر قراءة متواترة ماسكت ابن مجاهد عنه ، وما قصده هؤلاء القراء الأثبات .

إن ابن مجاهد في كتابه السبعة يناقش القراء السبعة ، ويناقش رواتهم فنراه ينبه إذا وجد غلطا في رواية أو عند راو .

وقد أوردت وفرة من هذه المراجعات والتحقيقات[٦] كما عرض الدكتور شوقي ضيف بعض هذه المعارضات ، قصد بيان ماأدى ابن مجاهد في كتابه السبعة من عمل علمي جليل[٧] .

---

(١) مخطوط جامع البيان ٧ / ظ .
(٢) طبقات القراء جـ ٢ ، ص ١٠٧ .
(٣) المصدر السابق جـ ١ ، ص ٢٢١ .
(٤) المصدر السابق جـ ١ ، ص ٢٢٠ .
(٥) انظر البحث الخاص بذلك .
(٦) انظر السبعة ص ٢٨ ومابعدها .
(٧) كتاب السبعة ص ٢٧ .

فاذا كان هذا موقف ابن مجاهد من سبعة القراء الأئمة ورواتهم ، أفترونه يسكت عن شيخه الطبري إذا كان منه إنكار للقراءات المتواترة ؟ هيهات .. هيهات !!

أوترون ابن مجاهد يغض الطرف إذا كان الطبري في اختياره متجاوزا الحد في الاختيار بتفضيله بعض القراء على بعض ؟ هيهات هيهات !

إن ابن مجاهد كان يقدر الإمام الطبري حق قدره ، ولنعلم أن ابن مجاهد كان من الثقة في المحل الرفيع ، وقد حدث عنه الدارقطني وغيره من كبار المحدثين في عصره[١] .

واقرءوا هذه القصة لنعلم مدى إكبار ابن مجاهد للطبري :

ذكر أبو علي الطوماري أنه ـ أي ابن مجاهد ـ كان يحمل القنديل في شهر رمضان بين يديه لصلاة التراويح . فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر في رمضان من داره ، واجتاز على مسجده فلم يدخله ، وسار معه أبو علي الطوماري حتى وقف على باب مسجد ابن جرير الطبري ، وابن جرير يقرأ سورة الرحمن ، فاستمع قراءته طويلا ، ثم انصرف . يقول الطوماري :

فقلت له ياأستاذ تركت الناس ينتظرونك ، وجئت تستمع قراءة ابن جرير ؟ فقال لي : ياأبا علي ، دع هذا عنك ، ماظننت أن الله خلق بشرا يحسن أن يقرأ هذه القراءة[٢] .

فليتق الله هؤلاء الطاعنون في الإمام الطبري ؟ وليتمسكوا بأدب الخلاف[٣] ، وليحسنوا الظن بأئمتنا الأعلام الأبرار[٤] !!

---

(١) كتاب السبعة ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) أورد الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد نائب وإمام المسجد الحرام قدرا صالحا من أدب الخلاف في كتابه المترجم بهذا ص ٥٠ ومابعدها .

(٤) انظر المحتسب جـ ١ ص ٢٩٦ في قصة قريبة من هذه ورغب ابن جني بها أن يحسن الظن بأنس (رضي الله عنه) .

وهل يرى المتهم للإمام الطبري بإنكاره المتواتر من القراءات أن ذلك كان من قبيل السهو والنسيان ؟! إنه بذلك ـ كما يقولون ـ من باب ذر التراب في العيون . اذا نسي الشيخ مرة أو مرتين فمن الممكن ذلك ، ولكن هل نصدق المتهم في لزوم النسيان للإمام الطبري !!؟ هل تصدقون ذلك !؟!

ثم هل يرى المؤلف بتأليف كتابه هذا أنه قد سد المنافذ الذي ينفذ منها المستشرقون الى الطعن في كلام الله ؟!

العجيب أنه بعمله قد فتح لهم الباب وسيعا ، ومهد الطريق رحيبا !! غفر الله له ، وهداه !

إن هذا لعجيب ! أتصدقون أن الإمام الطبري وهو من هو أمانة وصدقا وتمكنا وتثبتا ، يكون منه إنكار للقراءات المتواترة في القرن الثالث الهجري .

وتمضي القرون تلو القرون حتى يتم على وفاة الطبري ألف عام ولاينكر محقق أو مفسر أو محدث ماوقع من الطبري ـ إن كان ـ ويجئ واحد في القرن الخامس عشر بهذا المنكر من الاتهام ؟!

فاتقوا الله يامعشر القراء وخذوا ـ كما قال حذيفة رضى الله تعالى عنه ـ طريق من كان قبلكم ، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا ، ولئن تركتموهم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا .

ومن أنتم ؟ من أنتم بجانب من مضى ؟ أما علمتم في هذا الشأن ماقال أبو عمرو بن العلاء وهو إمام أهل عصره في اللغة ، وقد رأس في القراءة والتابعون أحياء ، وقرأ على جلة التابعين مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ويحيى بن يعمر ؟!

نقل الأصمعي عنه أنه قال : « إنما نحن فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال »[1] . !

فأين نحن من أبي عمرو ؟

يا هداكم الله !

الإمام الجليل الطبري ت ٣١٠ هـ والاختيار

فيما يلي أمثلة توضح أن سبب الترجيح لغوي معنوي مع استفاضة القراءة جاء في تفسير الطبري : جـ ٢٩ ما نصه :

١ - اختلف القراء في قراءة قوله : (وأنه تعالى)[2] ، فقرأه أبو جعفر القارئ وستة أحرف أخرى بالفتح - منها ﴿ أنه استمع نفر ﴾ ، ﴿ وأن المساجد لله ﴾ ، ﴿ وأنه كان يقول سفيننا ﴾ ، ﴿ وأنه كان رجال من الإنس ﴾ ، ﴿ وإنه لما قام عبد الله يدعوه ﴾ ، ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة) .

وكان نافع يكسرها كلها إلا ثلاثة أحرف :

أحدها : ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر ﴾ .

والثانية : ﴿ وأن لو استقاموا ﴾.

والثالثة : ﴿ وأن المساجد لله ﴾ .

« فما فتح من ذلك فإنه رده على قوله : ﴿ أوحى الي ﴾ ، وما كسره فانه جعله من قول الجن » . ص ٦٧ من الجزء التاسع والعشرين من تفسير الطبري .

وأما قراءة الكوفة ــ غير عاصم ، فإنهم يفتحون مافي آخر سورة النجم وأول سورة الجن إلا قوله : ﴿ فقالوا إنا سمعنا ﴾ ، وقوله : (قال إنما

(١) السبعة ، ص ٤٨ .
(٢) سورة الجن ، آية ٣ .

أدعو ربي ﴾ ، وما بعده الى آخر السورة ، وأنهم يكسرون ذلك غير قوله : ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ﴾ .

وأما عاصم ، فانه كان يكسر جميعها ، الا قوله : (وأن المساجد لله) فإنه كان يفتحها .

وأما أبو عمرو ، فإنه كان يكسر جميعها إلا قوله : (وأن لو استقاموا على الطريقة) ، فانه كان يفتح هذه ومابعدها .

فأما الذين فتحوا جميعها إلا في موضع القول كقوله : ﴿ فقالوا إنا سمعنا ﴾ ، وقوله : ﴿ إنما أدعو ربي ﴾ ، ونحو ذلك فإنهم عطفوا أن في كل السورة على قول : [فآمنا به ﴾ ، ﴿ وآمنا بكل ذلك ﴾ ففتحوها بوقوع الإيمان عليها ...

« وأحب ذلك إلي أن أقرأ به الفتح فيما كان وحيا ، والكسر فيما كان من قول الجن ؛ لأن ذلك أفصحها في العربية ، وأبينها في المعنى ، وإن كان للقراءات الأخر وجوه غير مدفوعة صحتها »[1] .

والترجيح المختار هنا لغوي ومعنوي وألقِ بالك الى قوله : وإن كان للقراءات الأخرى وجوه غير مدفوعة صحتها بعد قوله : وأحب ذلك إلي ... فليس في ذلك طعن في القراءة كما ترى .

٢ ـ واختلف القراء في قراءة : (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) قوله : (يسلكه) ، فقرأه بعض قراء مكة والبصرة (نسلكه) بالنون اعتبارا بقوله : (لنفتنهم) انها بالنون .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء بمعنى يسلكه الله ردا على الرب في قوله : ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه ﴾ [2] .

---

(١) تفسير الطبري ، سورة الجن ، جـ ٢٩ ، ص ٦٧ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ٢٩ ، ص ٧٣ .

إنّ الطبري في هذا النص يذكر القرّاء من غير تعيين ... ولا يبين قراءته التي قراءته التي يقرأ بها .. ومعنى ذلك أنه حيناً يسكت عن القراءة التي يقرأ بها ...

وتارة يرجح قراءة على أخرى .

وثالثة يذكر أن القراءتين كلتيهما صواب .

ورابعة يفسد القراءة فلا يرتضيها لشذوذها عن إجماع قراء الأمصار .

٣ ـ ﴿ قل إنما أدعو ربي ، ولا أشرك به أحدا ﴾ .

اختلفت القراء في قوله : ﴿ قل إنما أدعو ربي ..﴾

فقرأته عامه قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين على وجه الخبر :

« قال » بالألف . ومن قرأ ذلك كذلك جعله خبرا من الله عن نبيه محمدا ﷺ أنه قال : فيكون معنى الكلام : وأنه لما قام عبد الله يدعوه تلبدوا عليه قال لهم : إنما أدعو ربي ، ولا أشرك به أحدا .

وقرأ ذلك بعض المدنيين ، وعامة قراء الكوفة على وجه الأمر من الله عز وجل لنبيه محمد (ﷺ) : قل يامحمد للناس الذين كانوا يكونون عليك لبدا انما أدعو ربي ، ولا أشرك به أحدا .

« والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب » .

وقوله تعالى :

٤ ـ ﴿ ان ناشئة الليل هي أشد وطأ ... ﴾

جاء في تفسير الطبري[١] : وقوله : (هي أشد وطأ)[٢] اختلفت قراءة

(١) جـ ٢٩ ، ص ٨١ .

(٢) سورة المزمل ، آية ٦ .

الأمصار في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والكوفة أشد « وطأ » بفتح الواو ، وسكون الطاء .

وقرأ ذلك بعض قراء البصرة ، ومكة ، والشام : وِطاءً بكسر الواو ، ومد الألف على أنه مصدر من قول القائل : واطأ اللسان القلب مواطاة ووطاء .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

قوله تعالى :

﴿ إن لك في النهار سبحا طويلا ﴾[1] .

كان يحيى بن يعمر يقرأ ذلك بالخاء ، حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح قال : ثنا عبد المؤمن عن غالب الليثي عن يحيى بن يعمر من جذيلة قيس أنه كان يقرأ سبخا طويلا ، قال : وهو النوم .

قال أبو جعفر (الطبري) : والتسبيخ : توسيع القطن والصوف ، وتنفيشه ، يقال للمرأة : « سبخي قطنك » أي نفشيه ووسعيه ، ومنه قول الأخطل :

فأرسلوهن[2] يذرين التراب كما
تذرى سبائخ قطن ندف أوتار

وإنما عني بقوله : ﴿ إن لك في النهار سبحا طويلا ﴾ إن لك في النهار سعة لقضاء حوائجك وقومك . والسبح والسبخ قريب المعنى في هذا الموضع .

---

(١) سورة المزمل ، آية ٧ .

(٢) كذا في تفسير الطبري جـ ٢٩ ، ص ٨٣ ولعلها : فأرسلن .

وقوله :

٦ ـ﴿ رب المشرق والمغرب ﴾[١] .

قال الطبري : اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة بالرفع على الابتداء ، إذ كان ابتداء آية بعد أخرى تامة .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالخفض على وجه النعت ، والرد على الهاء التي في قوله : (وتبتل إليه) .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب[٢] .

وقوله :

﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ﴾[٣] .

اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بالخفض ، ونصفه وثلثه بمعنى أدنى من نصفه وثلثه .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب[٤] .

وقوله تعالى :

٧ ـ ﴿ والرجز فاهجر ﴾[٥] .

اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة (والرجز) بكسر الراء .

---

(١) سورة المزمل ، آية ٩ .

(٢) تفسير الطبري جـ ٢٩ ، ص ٨٤ .

(٣) سورة المزمل ، آية ٢٠ .

(٤) تفسير الطبري ، جـ ٢٩ ، ص ٨٨ .

(٥) سورة المدثر ، آية ٥ .

وقرأه بعض المكيين والمدنيين : (والرجز) بضم الراء .

فمن ضم الراء وجهه إلى الأوثان ، وقال معنى الكلام : والأوثان فاهجر عبادتها ، واترك خدمتها .

ومن كسر الراء وجهه إلى العذاب ، وقال معناه : والعذاب فاهجر ، أي ماأوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، والضم والكسر في ذلك عندنا لغتان بمعنى واحد ، ولم نجد أحدا من متقدمي أهل التأويل فرق بين تأويل ذلك ، وإنما فرق بين ذلك فيما بلغنا الكسائي[(١)] .

وقوله :

٨ ـ ﴿ والليل إذ أدبر ﴾[(٢)] .

قال الإمام الطبري : اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (إذ أدبر) .

وبعض قراء مكة المكرمة (إذا دبر) .

« والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب » .

ثم قال بعد أن أورد الوجه اللغوي عند الكوفيين والبصريين :

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان بمعنى ، وذلك أنه محكى

---

(١) تفسير الطبري جـ ٢٩ ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٢) سورة المدثر ، آية ٣٣ .

عن العرب قبح الله ماقيل منه ، ومادبر . وأخرى أن أهل التفسير لم يميزوا في تفسيرهم بين القراءتين وذلك دليل على أنهم فعلوا ذلك كذلك لأنهما بمعنى واحد »[1] .

وقوله :

٩ ـ ﴿ كأنهم حمر مستنفرة ﴾[2] .

اختلف القراء في قراءة قوله : (مستنفرة) ، فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة ـ بكسر الفاء .

وفي قراءة بعض المكيين أيضا بمعنى : نافرة .

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

وكان الفرّاء يقول : الفتح والكسر في ذلك كثيرانِ في كلام العرب ، وأنشد :

أمسك حمارك إنه مستنفر   في إثر أحمرة عمدن لغرب[3] .

وقوله تعالى :

١٠ ـ ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾[4] .

اختلف القراء في قراءة قوله : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ ، فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار (لا أقسم) مفصولة من أقسم سوى الحسن والأعرج فإنه ذكر

---

(١) تفسير الطبري ، جـ ٢٩ ، ص ١٠٢ .
(٢) سورة المدثر ، آية ٥٠ .
(٣) تفسير الطبري ، جـ ٢٩ ، ص ١٠٥ ومابعدها .
(٤) سورة القيامة ، آية ١ .

عنهما أنهما كانا يقرآن ذلك لأقسم بيوم القيامة بمعنى أقسم بيوم القيامة ، ثم أدخلت عليها لام القسم .

قال الطبري : والقراءة التي لا أستجيز غيرها في هذا الموضع « لا » مفصولة . أقسم مبتدأ على ماعليه قراء الأمصار ، لاجماع الحجة من القراء عليه[1] .

شذوذ القراءة المرفوضة :

قال الإمام السخاوي : الشاذ مأخوذ من قولهم : شذ الرجل يشذ ، ويشذ شذوذا إذا انفرد عن القوم ، واعتزل عن جماعتهم ، وكفى بهذه التسمية تنبيها على انفراد الشاذ وخروجه عما عليه الجمهور .. ثم قال : والذي لم تزل عليه الأئمة الكبار ، القدوة في جميع الأمصار من الفقهاء والمحدثين وأئمة العربية توقير القرآن ، واجتناب الشاذ ، واتباع القراءة المشهورة ، ولزوم الطرق المعروفة في الصلاة وغيرها .

وقوله تعالى :

١١ ـ ﴿ فإذا برق البصر ﴾[2] .

قال الإمام الطبري : اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه أبو جعفر القارئ ونافع ، وابن أبي إسحق ، (فإذا برق) بفتح الراء بمعنى شخص وفتح عند الموت .

وقرأ ذلك شيبة وأبو عمرو ، وعامة قراء الكوفة (برق) بكسر الراء بمعنى فزع وشق .

---

(١) تفسير الطبري ، جـ ٢٩ ، ص ١٠٢ .

(٢) سورة القيامة ، آية ٧ .

قال الطبري : وقد حدثني أحمد بن يوسف قال : ثنا القاسم قال : ثنى حجاج عن هارون قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عنها فقال : (برق) بالكسر بمعنى حار ، قال : وسألت عنها عبد الله بن أبي اسحق فقال : (برق) بالفتح ..

قال : وأخبرت بذلك ابن أبي اسحق فقال : أخذت قراءتي عن الأشياخ : نصر بن عاصم وأصحابه . فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال : لكن لا آخذ عن نصر ولا عن أصحابه ، فكأنه يقول : آخذ عن أهل الحجاز .

قال الامام الطبري : وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء : (فاذا برق) بمعنى فزع فشق ، وفتح من هول القيامة ، وفزع الموت ، وبذلك جاءت أشعار العرب .

أنشدني بعض الرواة عن أبي عبيدة الكلابي :

لما أتاني ابن صبيح راغبا   أعطيته عَيْسَاءَ منها فبرِق

وحدثت عن أبي زكريا الفراء قال : أنشدني بعض العرب :

تعاني حنانة طوبالة   تسف يبيساً من العشرق

فنفسك فانقع ، ولا تنعني   وداو الكلوم ، ولا تبرَق

بفتح الراء ، وفسره أنه يقول : « لاتفزع من هول الجراح التي بك » قال : وكذلك يبرق البصر يوم القيامة ..[1] .

وقوله تعالى :

١٢ ـ ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾[2] ـ بفتح الفاء ـ

(١) تفسير الطبري ، جـ ٢٩ ، ١١٣ .

(٢) سورة القيامة ، آية ١٠ .

قرأ ذلك قراء الأمصار ؛ لأن العين في الفعل مكسورة ، وإذا كانت العين من يفعل مكسورة فإن العرب تفتحها في المصدر منه اذا نطقت منه على مَفعَل فتقول : فر يفر مفرا ، كما قال الشاعر :

يالبكر انشروا لي كليبا   يالبكر أين أين الفَرار

... وزعم هذا مذهب البصريين .

وإنما يجيزون كسرها اذا أريد بالمفعل المكان الذي يفر إليه .

وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك بكسر الفاء ...

قال الإمام الطبري : والقراءة التي لاأستجيز غيرها الفتح في الفاء من المفر لإجماع الحجة من القراء عليها ، وأنها اللغة المعروفة في العرب إذا أريد بها الفرار . وهو في هذا الموضع الفرار ...

فسبب الاختيار : إجماع الحجة من القراء عليها ، وأنها اللغة المعروفة في العرب في هذه القراءة .

قوله تعالى :

١٣ ـ ﴿ ألم يك نطفة من مني يمنى ﴾(١) .

قال الإمام الطبري : اختلف القراء في قراءة قوله : (يمنى) ، فقرأه عامة قراء المدينة ، والكوفة ، (تمنى) بالتاء ، بمعنى تمنى النطفة .

وقرأ ذلك بعض قراء مكة والبصرة (يمنى) بالياء بمعنى يمنى المنى .

والصواب من القول أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب(٢)...

(١) سورة القيامة ، آية ٣٧ .

(٢) تفسير الطبري ، جـ ٢٩ ، ص ١٣٥ .

هذا ، وليس معنى اختيار قراءة من قراءتين عند ابن جرير الطبري ـ وغيره ـ أنه ينكر القراءة غير المختارة ، لا ، إنه يعترف بالقراءة الأخرى بأنها صواب ، وأن القارئ بها ، أو بأختها مصيب ... وحسبي المثال الآتي لتوضيح موقف الطبري من الاختيار ، ان هذا المثال صريح في تأكيد مضمون ماذهبت اليه في صدر هذا الكلام وأمثاله من كلام الطبري في تفسيره كثير .

« أورد الطبري اختلاف القراء في قراءة قوله : (سيقولون لله)[(١)] فقال : قرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام (سيقولون لِله) سوى أبي عمرو ، فإنه خالفهم فقرأ : (سيقولون اللّه) في هذا الموضع ، وفي الآخر الذي بعده اتباعا لخط المصحف ، فإن ذلك كذلك في مصاحف الأمصار إلا في مصحف أهل البصرة ، فإنه في الموضعين بالألف ، فقرأوا بالألف كلها اتباعا لخط مصحفهم ... وبعد أن احتج الإمام الطبري لكل من القراءتين إعرابيا ، قال :

« والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف ، لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة[(٢)] .

* * *

وبعد : فهاكم دليلا آخر ـ يبرئ الامام الطبري في قضية القراءات المتواترة التي زعم أنه أنكرها في تفسيره .

جاء في معاني القرآن للزجـاج :

قوله تعالى :

﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾[(٣)] .

(١) سورة المؤمنون ، آية ٨٩ .

(٢) تفسير الطبري ، جـ ١٨ ، ص ٣٦ و ٣٧ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

روي عن عمر وابن مسعود جميعا أنهما قرءا (القيام) ، وقد رويت (القيِّم) ، والذي ينبغي أن يقرأ ماعليه المصحف وهو (القيوم) بالواو ، و (القيم) جيد بالغ كثير في العربية ، ولكن القراءة بخلاف مافي المصحف لاتجوز ؛ لأن المصحف مجمع عليه ، ولا يعارض الإجماع برواية لايعلم كيف صحتها[1] .

وقوله تعالى :

﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[2] .

قال الزجاج : وقرأ بعضهم (تسواد وتبياض) وهو جيد في العربية إلا أن المصحف ليست فيه ألف ، فأنا أكرهها لخلافه ، على أنه قد تحذف ألفات في القرآن نحو ألف ابراهيم وإسماعيل ونحو ألف الرحمن ، ولكن الإجماع على إثبات هذه الألفات المحذوفة في الكتاب في اللفظ (تبيض) و (تسود) إجماع بغير ألف ، فلا ينبغي أن يقرأ بإثبات الألف[3] .

* * *

أضرب المفاضلة بين القراءات

تتجلى أضرب المفاضلة بين القراءات فيما يأتي :

(أ) المفاضلة بين وجه وآخر في الكلمة الواحدة وهو الأعم الأغلب في كتب الاحتجاج .

(ب) المفاضلة بين إمام وآخر أو بين إمام فأكثر ـ وآخرين .

(ج) المفاضلة بين القراءات جملة .

---

(١) معاني القرآن للزجاج ١/٣٧٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١/٤٦٤ .

وعلى سبيل المثال لا الحصر أسوق النصوص الآتية :

(أ) ـ المفاضلة بين وجه وآخر في كلمة واحدة :

١ ـ جاء في تفسير الطبري مانصه :

« حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال ابن مسعود :

قد سمعت القرأة ، فسمعتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع والاختلاف ، فانما هو كقول أحدكم : هلم ، وتعال ، ثم قرأ عبد الله : هيت لك ؟ فقلت :

يا أبا عبد الرحمن ، إن ناسا يقرءونها : هيت لك !

فقال عبد الله :

إني أقرءوها كما علمت[١] : أحب إلي[٢] .

٢ ـ جاء في جمال القراء[٣] مانصه :

« قال إبراهيم الأزرق : كنا عند سفيان أنا وحمزة ، فقال سفيان : حدثنا أبو يزيد الأسدي عن سعيد بن جبير أنه قرأ (سلفا)[٤]، فقال حمزة : الناس يقرءون : (سلفا)[٥] ، فقال سفيان : ياأبا عمارة ، من الناس ؟

فقال : أنا ، فقال : صدقت .

(١) مختصر الفتح : ٨/٢٧٤ و ٢٧٥ .

(٢) تعليق : الطبري يذكر كثيرا : « هذه القراءة أحب إلي متشبها بابن مسعود .

(٣) ص ٤٧٠ .

(٤) سورة الزخرف ، آية ٥٦ .

(٥) قرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام ، جمعا لسلف كأسد وأسد . وسائر السبعة سلفا جمع سالف . التيسير ١٩٧ .

(ب) ـ المفاضلة بين إمام وآخر ، أو بين إمام فأكثر وآخرين :

جاء في كتاب السبعة مانصه :

« كان الكسائي (رحمه الله) يفتخر به (أي بحمزة) ، وقرأ عليه القرآن أربع مرات ، وكان يسميه أستاذي ، ويجلّه ويرفع من قدره .

قال الكسائي : قال لي هارون الرشيد أمير المؤمنين : أقرئ محمدا قراءة حمزة ، فقلت : هو أستاذي ياأمير المؤمنين(١) .

وجاء في جمال القراء : كان الرشيد معجبا به (أي بحمزة) ، واختاره لنفسه ولولده ، ولا يختار الخليفة لنفسه إلا الأفضل .

وكان الرشيد يقول : مارأيت أفضل منه ، ولا أورع ولا أبصر بالقرآن والعربية(٢) .

قال مكي بن أبي طالب وهو يتحدث عن اختيارات القراء :

« وربما جعلوا الاختيار مااتفق عليه نافع وعاصم ، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات ، وأصحها سندا ، وأفصحها في العربية .

ويتلوهما في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي (رحمهم الله)(٣) .

جاء في كتاب جمال القراء : « قال سويد : مضيت أنا وأحمد بن رافع إلى أحمد بن حنبل (رحمه الله) فقال : ماحاجتكما ؟ قلنا : نحن نقرأ قراءة حمزة ، وبلغنا أنك تكره قراءته ، فقال أحمد (رحمه الله) : حمزة قد كان من العلم بموضع ، ولكن لو قرأتم بحرف نافع وعاصم ، فدعوناك له وخرجنا »(٤) .

---

(١) السبعة : ٧٩ .

(٢) جمال القراء ص : ٤٧٧ .

(٣) الابانة بتحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ص ١٠١ . ط / الفيصلية .

(٤) جمال القراء ص ٤٧٣ .

(ج) ـ المفاضلة بين القراءات جملة :

يوضح ذلك مكي بن أبي طالب إذ يقول :

« وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء :

* قوة وجهه في العربية .

* وموافقته للمصحف .

* واجتماع العامة عليه .

والعامة عندهم مااتفق عليه أهل المدينة ، وأهل الكوفة ، فذلك عندهم حجة قوية ، يوجب الاختيار .

وربما جعلوا العامة مااجتمع عليه أهل الحرمين[١] .

* * *

الرجوع عن القراءة والمفاضلة بين القراءات

تتحدث كتب القراءات عن رجوع بعض الأئمة من القراء عن قراءة اشتهروا بها ، وعندي أن الرجوع في معناه هو ترك للمفضول ، وأخذ بالفاضل ، وهذا هو الاختيار بتفضيل احدى القراءتين على الأخرى ، وهذا عين ماأنكره مؤلف / كتاب القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري ... ولا حول ولا قوة الا بالله .

وأسوق أكثر من مثال يكشف عن هذه الظاهرة ، ظاهرة الرجوع عن القراءات من بعض الأئمة القراء .

(١) جاء في كتاب السبعة[٢] : واختلفوا في كسر السين وفتحها من قوله :

---

(١) الإبانة ص ١٠٠ .

(٢) ص ١٩١ .

(يحسبهم)[١] و (يحسبن)[٢]، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي بكسر السين في كل القرآن .

وقرأ ابن عامر ، وعاصم ، وحمزة بفتح السين في كل القرآن ، وقال هبيرة : عن حفص : إنه كان يفتح ثم رجع . فكان يكسر[٣] .

(٢) قوله تعالى : (هل تعلم)[٤] روى علي بن نصر عن أبي عمرو : (هل تعلم) يدغم اللام ، ويقول : إن شئت أدغمت ماكان مثل هذا ، وان شئت بينته . وقال هارون عنه : إنه كان يدغم ثم رجع الى البيان[٥] .

(٣) جاء في فتح الوصيد بشرح القصيد لعلم الدين السخاوي مانصه : « ... روى قتيبة ونصر عن الكسائي إثبات الياء في قوله تعالى (يسر) ، من قوله سبحانه (والليل إذا يسر)[٦] .

قال أبو عمرو : وكذلك كان يقرأ ، ثم رجع الى الحذف[٧] .

قال : وحدثنا ابن خاقان قال : حدثنا أحمد بن محمد قال : حدثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال : كان الكسائي يقرأ بالياء دهرا ، ثم رجع إلى غيره ، وكذلك قال أبو الحرث عنه . وقال محمد بن عيسى عن نصير عنه بالياء في الوصل ثم هم أن يرجع ، لأنه رأس آية[٨] .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٧٣ .
(٢) سورة آل عمران ، آية ١٧٨ .
(٣) علق محقق السبعة بما يأتي : رواية حفص كما في المصاحف المصرية بفتح السين .
(٤) سورة مريم ، آية ٦٥ .
(٥) السبعة ، ص ٤١٠ .
(٦) سورة الفجر ، آية ٤ .
(٧) فتح الوصيد جـ ١ ، ص ٤٦ .
(٨) المصدر نفسه والكلام على قوله تعالى (يسر) من قوله تعالى : (والليل اذا يسر) .

(٤) قوله تعالى : ﴿ إنّ قومي اتخذوا ﴾ [١] .

قـرأ نافع وأبو عمرو : « إن قومـي اتخـذوا » محركة بالياء ، وروى ابن كثير : « إنَّ قوميَ اتخذوا » محركة الياء مثل نافع .

وقرأت (ابن مجاهد) على قنبل عن القـواس وأصحـابه ، عن ابن كثير : « ان قوميْ اتخذوا » بسكون الياء .

وقال لي قنبل : كان البزى ينصب الياء ، فقال لي القواس انظر في مصحف أبي الأخريط[٢] كيف هي في نقطها ، فنظرت ، فاذا هو قد كان نقطها بالفتح ثم محاه . وقال عبيد عن شبل عن ابن كثير وأهل مكة : (إن قومي اتخذوا) بسكون الياء . وقال محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير : بالإسكان أيضاً .

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي :﴿ إن قومي اتخذوا ﴾ بالاسكان[٣] .

(٥) بين جعفر الصادق وحمزة بن حبيب الزيات .

* * *

(١) سورة الفرقان ، آية ٣٠ .

(٢) هو وهب بن واضح مقرئ أهل مكة أستاذ البزي والقواس .

(٣) السبعة ص ٤٦٥ .

بعض اختيارات مرفوضة

تحدثت كتب القراء عن اختيارات مرفوضة لطائفة من القراء ، وكان سبب الرفض أن هذه القراءات فقدت بعض أركان القراءة الصحيحة ؛ وهي :

موافقة العربية ولو بوجه ، صحة السند ، موافقة الرسم ولو احتمالا ، وأورد فيما يلي بعض هذه الاختيارات المرفوضة ، إيثارا للاختصار ، فمن هؤلاء الذين رفضت اختياراتهم ثلاثة :

(١) ابن محيصن (ت ١٢٣هـ) بمكة[١] .

(٢) عيسى بن عمر أبو عمر الثقفي (ت ١٤٩هـ)[٢] .

(٣) ابن شنبوذ وقد توفي سنة (٣٢٨هـ)[٣] .

وفيما يلي كلمة عن هؤلاء القراء الثلاثة ، وأمثلة لاختياراتهم المرفوضة :

أولاً : ابن محيصن (ت ١٢٣هـ) :

وهو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي ، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير ثقة[٤] .

قال شمس الدين الذهبي : « ولابن محيصن رواية شاذة في كتاب في كتاب المبهج وغيره »[٥] .

وقال ابن الجزري : « قراءته في كتاب المبهج ، والروضة ، وقد قرأت بها القرآن ولولا مافيها من مخالفة المصحف لألحقت بالقراءات المشهورة ... وقال

(١) انظر طبقات القراء جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

(٢) انظر المرجع نفسه جـ ١ ، ص ٦١٢ .

(٣) نفسه جـ ٢ ص ٥٤ .

(٤) نفسه جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

(٥) معرفة القراء الكبار جـ ١ ، ص ٩٩ .

ابن مجاهد : كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية ، فخرج عن إجماع أهل بلده ، فرغب الناس عن قراءته ، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه .

قال أبو القاسم الهذلي : مات ابن محيصن سنة ثلاث وعشرين ومائة[1] .

ويؤخذ أن اختيار ابن محيصن كان في اختياره قراءة على مذهب العربية ، وفيها مخالفة المصحف .

قال الإمام الطبري في تفسيره : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا » ، « لبدا » وفيها لغتان :

* كسر اللام (لِبدة) ومن كسرها جمعها (لِبد) .

* وضم اللام (لبدة) ومن ضمها جمعها (لبد) بضم اللام أو (لابد) ...

قال : « وقراءة الأمصار على كسر اللام من (لبد) غير ابن محيصن ، فإنه كان يضمها ، وهما بمعنى واحد ، غير أن القراءة التي عليها قراء الأمصار أحب إلي »[2] .

ثانياً ـ عيسى بن عمر الثقفي ت ١٤٩ هـ :

وهو عيسى بن عمر أبو عمر الثقفي النحوي البصري معلم النحو ، ومؤلف الجامع والإكمال ، روى عن ابن كثير وابن محيصن حروفا ، وله اختيار في القراءات على قياس العربية ، ...

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : كان من قراء البصرة عيسى بن عمر الثقفي ، وكان عالما بالنحو غير أنه كان له اختيار في القراءة على مذاهب

---

(٥) طبقات القراء جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

(٦) تفسير الطبري ، جـ ٢٩ ، ص ٧٤ .

العربية يفارق قراءة العامة ، ويستنكره الناس ، وكان الغالب عليه حبّ النصب إذا وجد لذلك سبيلا[١] .

ومن اختياراته[٢] :

(١) « حمالةَ الحطب »[٣] .

(٢) « الزانيةَ والزاني »[٤] .

(٣) « والسارقَ والسارقة »[٥] .

(٤) « هن أطهرَ لكم »[٦] .

ثالثا ـ ابن شنبوذ ت ٣٢٨ هـ :

وابن شنبوذ هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ ، الإمام أبو الحسن البغدادي شيخ الإقراء بالعراق ، أستاذ كبير أحد من جال في البلاد في طلب القراءات مع الثقة ، والخير ، والصلاح ، والعلم .

كان ابن شنبوذ يرى جواز القراءة بالشاذ ، وهو ماخالف رسم المصحف الإمام ، ... وقد عقد له مجلس بحضرة الوزير أبي علي بن مقلة ، وبحضور ابن مجاهد ، وجماعة من العلماء والقضاة ، وكتب عليه به المحضر ، واستتيب عنه بعد اعترافه به هو :

(١) فامضوا إلى ذكر الله[٧] .

---

(١) طبقات القراء جـ ١ ص ٦١٣ . (٢) المصدر السابق .

(٣) سورة اللهب ، آية ٤ .

(٤) سورة النور ، آية ٢ .

(٥) سورة المائدة ، آية ٣٨ .

(٦) سورة هود ، آية ٧٨ .

(١) سورة الجمعة آية ٩ .

(٢) وتجعلون شكركم أنكم تكذبون[١] .

(٣) كل سفينة صالحة غصبا[٢] .

(٤) كالصوف المنفوش[٣] .

(٥) فاليوم ننحيك ببدنك[٤] .

(٦) تبت يدا أبي لهب وقد تب[٥] .

(٧) فلما خر تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولا في العذاب المهين[٦] .

(٨) والذكر والأنثى[٧] .

(٩) فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما[٨] .

(١٠) وينهون عن المنكر ويستغيثون الله على ماأصابهم ، أولئك هم المفلحون[٩] .

(١١) وفساد عريض[١٠] .

---

(١) سورة الواقعة آية ٨٢ .
(٢) سورة الكهف آية ٧٩ .
(٣) سورة القارعة آية ٥ .
(٤) سورة يونس آية ٩٢ .
(٥) سورة المسد آية ٤ .
(٦) سورة سبأ آية ١٤ .
(٧) سورة الليل آية ٣ .
(٨) سورة الفرقان آية ٧٧ .
(٩) سورة آل عمران آية ١٠٤ .
(١٠) سورة الأنفال آية ٧٣ .

كان ذلك في ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وكان قد أغلظ للوزير في الخطاب ، وللقاضي ، ولابن مجاهد ، ونسبهم إلى قلة المعرفة ، وأنهم ماسافروا في طلب العلم كما سافر ، فأمر الوزير بضربه ، فضرب سبع درر ، وهو يدعو على الوزير بأن يقطع الله يده ، ويشتت شمله ، ثم أوقفه على الحروف ، فأهدر منها ماكان شنيعا وتوبه عن التلاوة بها ـ فتألم وصاح وأذعن بالرجوع .. وقد استجيب دعاؤه على الوزير ، وقطعت يده ، وذاق الذل[١] .

وقد أورد الذهبي في كتابه معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار نسخة المحضر ، وقد اعترف ابن شنبوذ بما في هذه الرقعة .

وكتب ابن مجاهد بيده يوم السبت لست خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وشهد محمد بن موسى الهاشمي ، وأبو أيوب محمد بن أحمد ، وهما يومئذ شاهدان مقبولان[٢] .

* * *

(١) طبقات القراء ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .

(٢) معرفة القراء الكبار ، ترجمة رقم ١٩٢ .

ملخص المقال

هذا المقال يبرئ الامام الطبري (رحمه الله) من تهمة ألصقها به بعض الباحثين في زماننا ، تلكم التهمة هي أن الإمام ينكر القراءات المتواترة ، وراح الباحثان يوردان مارأياه إثباتا لهذه التهمة ـ وهو منها علم الله ـ براء .

ألف الأول من الباحثين كتابا صدر عن دار المعارف بالقاهرة في رمضان سنة ١٣٩٨هـ ـ اغسطس ١٩٧٨م وجعل عنوانه :

« دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبرى المفسر »

وألف الباحث الآخر كتابا ظهر للناس في رمضان ١٤٠٦هـ ـ مايو (أيار) ١٩٨٦م ، وجعل عنوانه :

« القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه من أول القرآن الى آخر سورة التوبة » .

رفض بعض القراءات المتواترة ، وقلل من شأنها ، ودعا إلى ترك إحداهما لأجل الأخرى ، وجرى المؤلف الأخير في سنن صاحبه .

فقد عالج موضوعات القراءات المتواترة التي تناولها الإمام الطبري في تفسيره ، وتناول ـ كما يقول مقدم كتابه ـ جانبين رئيسيين هما : إنكارها متواترة وتفضيل بعضها على بعض .

وقد استطعت بنعمة من الله وفضل أن أفند هذه التهم ، وأثبت أن الامام الطبري له معايير في اختيار القراءة ، وأنها لاتخرج عن : قوة وجهها في العربية ، وصحة سندها ، وموافقتها رسم المصحف ، وهي معايير اعترف بها أئمة القراء منذ القرون الأولى إلى القرن العاشر الهجري (عصر السيوطي ومن لف لفه) .

وأثبت بالدليل والبرهان أن القراءات قائمة على الاختيار وتفضيل بعضها على بعض ، وبينت أن هذه المفاضلة تكون في جوانب ثلاثة :

أ ـ مفاضلة بين وجه وآخر في الكلمة الواحدة .

ب ـ مفاضلة بين إمام وآخر أو بين إمام فأكثر وآخرين .

ج ـ مفاضلة بين القراءات جملة .

وأوردت الشواهد على ذلك ، وضربت له الأمثال ، وفي حديث مركز بينت أن كثيرا من الأئمة القراء كانوا يرجعون عن بعض قراءاتهم واتخذت ذلك دليلا على تفضيل القراءة التي صاروا إليها عن القراءة التي رجعوا عنها .

وماأنكره الطبري من القراءات أنكره لضعف سنده ، وهو رجل فقه وحديث أو لضعف لغته وهو اللغوي البارع ، أو لمخالفته رسم المصحف .

وأوردت الشواهد المؤيدة لهذه الاتجاهات .

وما أروع كلمة الإمام المهدوي ، إذ فسر المفاضلة بين القراءات بأنها ليست مفاضلة في ذات القراءة ـ فإن ذلك لايكون إلا في المخلوقات ـ وإنما المفاضلة في الأجر والثواب .

هذا وللبحث ملاحق تؤكد الاختيار وتفضيل الأئمة من القراء بعض القراءات على بعض .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ››

أهم مصادر البحث

ـ الابانة عن معاني القراءات ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي .

ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي .

ـ التيسير للداني .

ـ الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير القرطبي .

ـ جامع البيان في تفسير أي القرآن للطبري (الطبعة القديمة ـ والطبعة المحققة) .

ـ جامع البيان في القراءات للداني (رسالة دكتوراه مخطوطة بجامعة أم القرى) .

ـ جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي .

ـ حلية الأولياء للأصفهاني .

ـ السبعة لابن مجاهد ، تحقيق دكتور شوقي ضيف ، ط/دار المعارف .

ـ صحيح الإمام مسلم .

ـ طبقات القراء لابن الجوزي .

ـ المحتسب لابن جني تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي (بالاشتراك) .

ـ المحكم في نقط المصاحف .

ـ المرشد الوجيز لأبي شامة .

ـ معجم البلدان لياقوت الحموي .

ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي .

ـ منجد المقرئين لابن الجزري .

ـ معرفة القراء الكبار للذهبي .

ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري .

مطابع جامعة أم القرى